البابا هونوريوس الثالث والدعوة للحملة الصليبية الخامسة
(613-615هـ/ 1216- 1218م)

م.د. ثائر حسن عبدالله
جامعة سامراء/ كلية التربية للعلوم الإنسانية
Thaer.h@uosamarra.edu.iq

الملخص:

ينتسب البابا هونوريوس الثالث الى عائلة ارستقراطية عريقة ، وتدرج في المناصب الكنسية، بعد وفاة البابا نوست الثالث تم انتخبه لمنصب البابوية ، وقد وقع اختيار البابا عن طريق الانتخاباب، ومن خلال مجمع اللاتيران تمت المصادقة على القيام بالحملة الصليبية الخامسة، وبدأ البابا هونوريوس الاستعداد للحملة الصليبية بالحصول على المساعدات اللازمة لهذا المشروع الصليبي الكبير ضد مصر، فكان حريصًا على تنفيذ مشروع الحملة الصليبية للسيطرة على مصر ثم استعادة بيت المقدس من خلالها، وبوصول القوات الصليبية الى عكا سارع هونوريوس إلى تعيين المندوب البابوي للحملة وتحديد دور رجال الدين الذين أكدوا على التزام القادة الصليبيين في توفية نذورهم لأجل السيد المسيح (عليه السلام) واصدار الحرمان ضد كل من يتأخر عن ذلك، كذلك تحديد موعد لمغادرة بعض القادة الصليبيين الى مصر.

الكلمات المفتاحية: هونوريوس الثالث، الحملة الصليبية الخامسة، مصر، الكرادلة، مجمع اللاتيران، فريدريك الثاني.

Pope Honorius III and the call for the Fifth Crusade
(613-615 AH / 1216-1218 AD)

Dr. Thaer Hassan Abdullah
Samarra University/College of Education for Humanities

Abstract:

Pope Honorius III belonged to a distinguished aristocratic family and rose through the ranks of the Church. After the death of Pope Noust III, he was elected to the papacy. The selection of the Pope was made through an election, and the Lateran Council approved the Fifth Crusade. Pope Honorius began preparing for the Crusade by securing the necessary aid for this major crusade against Egypt. He was determined to carry out the Crusade to conquer Egypt and then use it as a springboard to recapture Jerusalem. Upon the arrival of the Crusader forces at Acre, Honorius quickly appointed the papal legate for the Crusade and defined the role of the clergy. He emphasized the Crusader leaders' obligation to fulfill

their vows to Jesus Christ (peace be upon him) and issued excommunication against anyone who failed to do so. He also set a date for the departure of some Crusader leaders to Egypt.

Keywords: Honorius III, Fifth Crusade, Egypt, Cardinals, Lateran Council.

المقدمة:

مهدت الأوضاع السياسية للشرق الإسلامي للفرنجة غرس كياناتها الاستيطانية في العديد من مدن بلاد الشام، على الرغم من أن تلك الهجمة الصليبية كانت أكبر وأضخم حركة عدوانية تعرض لها العالم الإسلامي في العصور الوسطى.

بدأت الحروب الصليبية بالخطبة التي ألقاها البابا أربان الثاني في كاتدرائية مدينة كليرمون سنة(488هـ/1095م) بحضور العديد من الأساقفة وعدد كبير من الأمراء والنبلاء أما الحملة الصليبية الخامسة فدعا إليها البابا هونوريوس الثالث الذي تم تعيينه بعد يومين من وفاة البابا اونست الثالث قبل هونوريوس الثالث التاج بتردد بعد أن وافق الكرادلة على إجراء انتخابات عن طريق التسوية وخلال مجمع اللاتيران عام(612هـ/1215م) تمت المصادقة على الحملة الصليبية الخامسة، وبدأ البابا هونوريوس بالاستعدادات للحملة لتبدأ سنة(614هـ/1217م) للحصول على المساعدات اللازمة لهذا المشروع الضخم، وكان هدف هونوريوس من الحملة السيطرة على مصر واستعادة بيت المقدس، ومن خلالها استكمال هونوريوس الثالث النشاط الصليبي للبابا اونوست الثالث فكتب إلى يوحنا دي بربين ملك بيت المقدس والجماعات الحربية واساقفة العالم المسيحي يعرب عن نيته في متابعة الحملة حتى نهايتها، وقام بمناشدة الامراء والفرسان بحمل الصليب ونصح رجال الدين بتأجيل الضرائب المقررة عليهم، وقام هونوريوس بتعيينه موفدين بابويين في جنوب إيطاليا لتقديم الخدمات الدينية لهم وحل أي مشكلة تحتاج للتدخل البابوي، وبالنسبة إلى الحملة الصليبية نفسها، فقد تم اختيار الكاردينال بلاجيوس الذي ذاعت شهرته في البلاط البابوي، إذ رأى فيه البابا من الحكمة والخبرة ما جعله يثق فيه ثقة كبيرة في تلك المهمة.

ترجع أهمية اختيار الموضوع لما كان من دور للبابوية في الدعوة للحروب الصليبية، وما اثر عليها خلال الحملة الرابعة التي اضاعت جزءًا من هيبة البابوية عندما توجهت نحو القسطنطينية، ثم بعد ذلك ما عرفت بحملة الأطفال، فكانت دعوة البابا هونوريوس الثالث للحملة الخامسة على مصر قد أعادت جزءًا من الهيبة المفقودة، فلبت الجموع من الناس لتلك الحملة.

إلا أن تلك الحملة فشلت بتحقيق أهدافها المطلوبة، ففشلت البابوي بسبب تدخلها بشؤون الحرب والخطط العسكرية الذي أثار القادة الأوروبيين والأمراء العسكريين ضد نائب البابا.

قسم البحث الى مقدمة ومطلبين، تحدثنا في المطلب الاول في تعريف البابا هونوريوس الثالث ونسبه وميلاده وتدرجه الوظيفي بالكنيسة.

وتناولنا في المطلب الثاني دور البابا في الدعوة والتحضير للحملة الصليبية الخامسة،
ومفاوضات هونوريوس مع ملوك أوربا لأجل الحملة الصليبية الخامسة ثم ارسال فريدريك الثاني وفدًا الى هونوريوس لأجل الاستعدادات للحملة.
ثم ذكرنا الخاتمة والاستنتاجات.

المطلب الأول: تعريف البابا هونوريوس الثالث ونسبه وميلاده وتدرجه الوظيفي الكنسي

يعد هونوريوس الثالث أحد البابوات العتاة في تاريخ البابوية، وكان له دور كبير في الدعوة للحملة الصليبية الخامسة وإدارتها، فقد حرص على إكمال مسيرة البابا إنوسنت الثالث بتوجيه حملة صليبية نحو الشرق، وأخذ هونوريوس الثالث على عاتقه مسئولية الدعوة للحملة الصليبية، وأرسل إلى ملوك أوربا لحثهم على حمل راية الصليب والمشاركة فيها، لذا فإن البحث سيتناول عرضًا لأصل هونوريوس الثالث ونشأته وتدرجه الوظيفي حتى توليه كرسي البابوية، ومن ثم جهود البابا هونوريوس الثالث في الدعوة للحملة الصليبية الخامسة والتجهيز لها حتى موعد انطلاقها نحو مصر.

- **أصل هونوريوس الثالث ونسبه:**

عرف البابا هونوريوس الثالث باسم سينسيو Cencio واشتهر باسم سينسيو سافيلي Cencio Savelli إشارة إلى انتمائه لعائلة سافيلي، وإذا كان سينسيو من عائلة سافيلي حقيقة؛ فهو من أخذ عائلة سافيلي إلى موقع السلطة والشهرة لا هم، فشأنها شأن عائلات مثل: كونتي Conte وأورسيني Orsini **(عائلة أورسيني: هي عائلة إيطالية نبيلة، وهي واحدة من أكثر العائلات الأميرية تأثيرًا في إيطاليا في العصور الوسطى، وعصر النهضة في روما. يشمل أفراد عائلة أورسيني خمسة باباوات هم: ستيفن الثاني (135-140هـ/752-757م)، بولس الأول (140-150هـ/757-767م)، سلستين الثالث (587-595هـ/1191-1198م)، نيكولاس الثالث (676-679هـ/1277-1280م)، وبنديكت الثالث عشر (1137-1143هـ/1724-1730م). بالإضافة إلى ذلك، ضمت العائلة 34 كاردينالًا، والعديد من الشخصيات السياسية والدينية المهمة الأخرى (Williams, 2004, pp. 25–36; Murphy, 2006, pp. 113–142).**

كانت عائلة سافيلي واحدة من العائلات حديثة العهد بالمجتمع النبيل في القرن الثاني عشر، ولو لم تظفر بالتاج البابوي، لظلت على الأرجح من دون تأثير واضح لا يتجاوز حدود مدينة روما (Manselli, n.d., pp. 144–145; Claverie, n.d., p. 18; Moore, 2003, pp. 2–3).

كان سينسيو من أصل روماني، والده كان يُدعى هيميريكوس Haimericus ، ونظرًا لشيوع اسم باندلوف في عائلته فقد يوحي ذلك بأن أصله ألماني، لكن أكد العديد من المؤرخين أنه ينتسب إلى عائلة سافيلي، وكان لدى عائلة سافيلي أملاكًا معتبرة في بلدة كامبانا Campagna**(كامبانا: هي بلدة صغيرة**

تابعة لمقاطعة ساليرنو، في منطقة كامبانيا بجنوب إيطاليا. كان اسمها اللاتيني القديم سيفيتاس كامبانيا (مدينة كامبانيا). تقع Campagna في أحد وديان جبال Picentini، على ارتفاع 270 مترًا فوق مستوى سطح البحر، تعود السجلات الأولى للمنطقة إلى القرن التاسع في الحقبة اللومباردية، كان موقع المدينة استراتيجيًا لهجمات الأعداء خلال العصور الوسطى. في الآونة الأخيرة، أصبحت المدينة مركزًا ثقافيًا ودينيًا مهمًا، وكانت مقر الأساقفة حتى عام (1393هـ/ 1973 م)، عندما اندمجت أبرشية كامبانا مع أبرشية ساليرنو (Burn, 1879, pp. 26–34)، التابعة لإقليم سابينا Sabina في إيطاليا، وكذلك في بلدة كاستل جاندلفو Castel Gandolfo (كاستل غاندلفو: هي بلدة تقع في العاصمة روما في إيطاليا، وتحوي المقر الصيفي للبابا، اشتق اسمها من حصن لعائلة دوقية غاندولفي (من أصل جنوى ، سميت على اسم القديس جوندولفوس) في القرن الثاني عشر ، والتي انتقلت إلى عائلة سافيلي التي اشترتها منها البابوية في عام 1596 مقابل 150000 سكودي. كان البابا كليمنت الثامن أول بابا جاء إلى قلعة غاندولفو، لكن إعادة بناء القلعة القديمة كان مشروع اوربان الثامن Urban VIII الذي جاء للمرة الأولى في عام (1036هـ/ 1626م) (Moroni, 1841, pp. 155–156)، وكاستل سافيلو بالقرب من مدينة ألبانو Albano (ألبانو: مدينة إيطالية في مقاطعة روما، على تلال ألباني بإقليم لاتسيو، عدد سكانها 38.464 نسمة. تبعد عن مدينة روما مسافة 25 كيلومتر، في عام 326، أمر الإمبراطور قسطنطين الأول، وفقًا لتقليد راسخ، بتأسيس كاتدرائية ألبانينس المكرسة للقديس يوحنا المعمدان تبرع قسطنطين للكاتدرائية التي تم تشكيلها حديثًا، والعديد من الأواني المقدسة والعديد من العقارات والصناديق في أجير ألبانوس. خلال الحرب القوطية، تم تحويل ألبانو من بلدية إلى مدينة صغيرة محصنة، وفي عام 964، منح الإمبراطور أوتو الأول المنصب في ألبانو إلى فيرجينيو سافيلي، قبطانه في روما. لجأ البابا باسكال الثاني في (512هـ/ 1118م) إلى ألبانو مع احتلال تمرد معادٍ لروما، ووجد أن ولاء ألبانسي يُمنح إعفاءً دائمًا من ضرائب طحن القمح (Moore, 1978, p. 89)، الإيطالية، وأملاك أخرى في ألبانو وأريكتشيا Ariccia (أريكتشيا: هي بلدة ومدينة في مدينة روما الحضرية، وسط إيطاليا، على بعد 25 كيلومتر (16 ميلًا) جنوب شرق روما. يقع في ألبان هيلز في منطقة لاتسيو (لاتيوم) ويمكن عدّه امتدادًا للضواحي الجنوبية الشرقية لروما، في عام 990، كانت ("قلعة Ariccia") تحت سيادة جويدو، كونت Tusculum. وفي عهد البابا نيكولاس الثاني، تم استيعاب القلعة من قبل الولايات البابوية، والتي بدورها انتقلت مرة أخرى إلى إيرل توسكولوم كإقطاعية (510هـ/1116م). استعادت الكنيسة الرومانية أريكسيا في عام (620هـ/ 1223م) مع البابا هونوريوس الثالث، من عائلة سافيلي ، وحافظت عليها حتى النصف الأول من القرن الخامس عشر (Ashby, 1911, p. 490)، لواقعتين على مرتفعات ألبانو، وأغلب الظن أن سينسيو قضى طفولته في روما (Gregorovius, 1895, pp. 118–119).

ولاحظ مؤرخون آخرون أن الأبواب الكنسية تحمل اسم "سينسيو" ولا تأتي على ذكر انتمائه إلى عائلة سافيلي، على الرغم من أنه يُنسب إلى عائلة سافيلي، وشككوا في نسب سينسيو لعائلة سافيلي، مؤكدين عدم وجود مصدر واحد يعود إلى القرون الوسطى يدعم هذا الافتراض، وشجرة الأنساب التي يستند إليها أصحاب هذا الافتراض فيما ذهبوا إليه من انتساب سينسيو إلى عائلة سافيلي، كُشف قبل عدة عقود عن أنها محض احتيال، وأنها من اختلاق الفقيه الأغسطيني بانفينيوس Panvinius، الذي وضعها عام (965هـ/ 1557م) (Tillmann, 1975, p. 392; Maleczek, 1984, p. 111; Carocci & Vendittelli, 2000, pp. 350–351; Claverie, n.d., p. 18; Bauer, 2016, pp. 80–82).

فالعائلة التي انتمى إليها سينسيو غير معروفة، والنظرية الأكثر احتمالًا، والتي أكد عليها بعض المؤرخين، هي أنه صنع نفسه بنفسه، وأن والداه لم يكونا من عائلة نبيلة، بل من أصول رومانية متواضعة (Tillmann, 1975, p. 393; Maleczek, 1984, pp. 111–112).

إلا أن أهم الأدلة لدينا عن جذور سينسيو تأتينا من الرجل نفسه، إذ ذكر سينسيو في كتاب الإحصاء Liber censuum الذي أصدره بنفسه أنه أدين بكل ما تعلمه وحققه ووصل إليه إلى الكنيسة الرومانية المقدسة" وينبغي لنا إذا أردنا أن نكتب سيرة هونوريوس، أن نستند إلى كلام هونوريوس نفسه عن نفسه، وعلى الرغم من أن هذه العبارة تحمل سمات المبالغة التي تميز الكثير من العبارات التي اعتاد كُتّاب القرون الوسطى أن يضمنوها في نصوصهم، فإن عبارة سينسيو، عندما نأخذ في الاعتبار الغموض الذي يحيط بأصوله، جنبًا إلى جنب حقيقة أنه لم يتلقَ تعليمًا في باريس على غرار كثير من زملائه في المجلس البابوي، فإنه يمكن عدّها دليلًا مقنعًا على أن والديه من أصول متواضعة، وفوق ذلك، فإن الفسيفساء التي تزين رواق كنيسة سانت لورينزو، والأبواب البرونزية في اللاتران، تُظهر جميعًا أن سينسيو لم يكن لديه أية مشكلة في الإعلان عن اسمه ومكانته، وبالتالي، فمن غير المرجح في تلك الحالة أن يخفي متعمدًا أصوله العائلية، سواء في كتاب الإحصاء، أو على الأبواب البرونزية، لو كان ينتمي إلى عائلة سافيلي أو كابوتشي أو تيبالدي، ولا توجد إشارات إلى اسم عائلة سينسيو في السجلات والوثائق في القرون الوسطى قبل أن يصبح بابا (Powell, 1977, p. 522).

علاوة على ذلك، فإنه لا يمكن تفسير مسيرة سينسيو الناجحة في المجلس البابوي في أثناء بابوية كليمنت الثالث **(البابا كليمنت الثالث: ولد في بارما Parma سنة (416هـ/ 1025م لعائلة تنتمي إلى كونتات كانوسا Canosa، قدم إلى ألمانيا سنة كعضو في محكتها العليا سنة 1054م, ثم تدرج في سلك الوظائف الكنسية حتى رسمه الملك الألماني هنري الرابع Henry IV كبابا مضاد للبابا جريجوري السابع Gergory VII (1073–1085م)، واستمر البابا كليمنت الثالث كبابا مضاد خلال الفترة من (473–494هـ/ 1080 وحتى سنة 1100م). هو البابا رقم 14 الذي يحمل هذا اللقب، والثالث ضمن البابوات غير الشرعيين، تولى منصب البابوية في المدة من (473–494هـ/ 1080 إلى 1100م) ثم**

أُعيد انتخابه مرة ثانية لمنصب البابوية في المدة من (583–587هـ 1187 إلى 1191م. (Kelly, 1986, pp. 156–157)، وسيلستين الثالث **(البابا سلستين الثالث: هو جياسنتو بوبني Giacinto Bobone, ولد سنة (499هـ/ 1105م) وهو أحد نبلاء أسرة أورسيني Orsini الشهيرة بروما. تلقى تعليمه على يد أبيلارد بفرنسا، وتدرج فى المناصب الكنسية حتى انتخابه بابا خلفًا للبابا كليمنت الثالث Clement III, فى مارس 1191م، وظل في منصب البابوية ست سنوات، وتسعة أشهر، وتسعة أيام، حتى وفاته فى595هـ/ 1198م، وتولى من بعده البابا انوسنت الثالث (Kelly, 1986, pp. 184–186)**، على أنها محاباة من جانبهما لشخصه لوجود صلة قرابة من نوع ما؛ فانحدار كليمنت الثالث وسيلستين الثالث كلاهما من عائلتين مختلفتين، ولو أنه كانت تربطهما صلات قرابة (Doran, 2008, p. 52)، وأهمية المنصب الذي عهد كليمنت به إلى سينسيو، وارتقاء سينسيو فيما بعد في مدارج السلطة أكثر في عهد سيلستين؛ كلا الأمرين يوحيان بأن نجاحه يرجع إلى قدراته الشخصية لا مجرد محاباة.

ظهر سينسيو في السجلات التاريخية للمرة الأولى في نهاية ثمانينات القرن الثاني عشر عندما عينه كليمنت الثالث أمينًا للخزانة البابوية عام (584هـ/ 1188م) (Sayers, 1984, p. 1–2) وفي الوقت نفسه تقريبًا، كان سينيو قسًا لكنيسة سانتا ماريا ماجيوري، وفيما بعد جعله البابا سيلستين الثالث شماس كاردينال لكنيسة سانتا لوشيا في أورفيا عام(589هـ/ 1193م). وفي عام(591هـ/ 1194م) رقاه سيلستين مرة أخرى، ليجعله يجمع بين منصبه أمينًا للخزانة وأمينًا للسر (رئيسًا للأرشيف البابوي)، مما جعل سينسيو، الذي بات عندئذٍ يتحكم في الخزانة والأرشيف، أقوى عضو في المجلس البابوي بعد البابا (Doran, 2008, pp.44– 45).

وبين (587 و595هـ/ 1191 و1198م)، عمل سينسيو كقاضي استماع، إذ ينظر في الدعاوى القضائية التي تُعرض أمام المجلس البابوي، مما يوحي بأنه تلقى تدريبًا من نوع ما في القانون الكنسي، وفي عام (593هـ/ 1196م) اكتسب سينسيو خبرة دبلوماسية عندما اُختير هو، وأوكتافيان أسقف أوستيا Octavian of Ostia، وبيتر أسقف كنيسة سانتا سيسيليا Peter of S. Cecilia، للتفاوض مع الإمبراطور هنري الرابع الألماني (587–594هـ/1191–1197م) (Maleczek, 1984, p. 112; Bolton, n.d., pp. 317–353). وكان سينسيو أيضًا معلمًا للامبراطور الألماني فريدريك الثاني Frederich II **(فريدريك الثاني: ولد سنة (591هـ/ 1194)، إمبراطور الرومانية المقدسة (617–648هـ/1220–1250) ملك صقلية (595–648هـ/1198–1250) من سلالة هوهنشتاوفن الألمانية. امتاز عهده بالصراع مع البابوية للسيطرة على إيطاليا. قاد الحملة الصليبية السادسة (626–627هـ/1228–1229) توج نفسه ملكًا على القدس عام (627هـ/1229م) حكم فريدريك مملكة صقلية حكمًا جيدًا، وأسس جامعة نابولي عام (621هـ/ 1224م) وجعل من جامعة ساليرنو أفضل**

مدرسة طب في أوروبا، وكان طوال حياته في خلاف مع البابوات والمدن الناهضة في ألمانيا وإيطاليا. وقد أعجب فريدريك الثاني بالثقافة العربية الإسلامية وشجع دراستها والترجمة منها. وأصبحت صقلية في عهده مركزًا مهمًا لانتقال الحضارة الإسلامية إلى أوروبا. وقد أغضب اهتمامه هذا رجال الدين المسيحيين فاتهموه بالهرطقة أو الخروج عن الدين. وفي عام (626هـ/ 1228 م) نظم الحملة الصليبية السادسة وتولى قيادتها، واستولى على القدس وأعلن نفسه ملكًا عليها في السنة التالية، وتوفي في سنة (648هـ/ 1250)، (Pybus, 1930, pp. 134–163).

- **ميلاده وتدرجه الوظيفي**

بالنسبة إلى تاريخ ميلاده تحديدًا فهو غير معروف، وكذلك اسم والدته، وقد وردت عدة روايات حول تاريخ ميلاد سينسيو على سبيل التخمين؛ فبالاستناد إلى مسيرته المهنية قبل أن يصبح بابا، وإلى إشارة جاك دي فيتري Jacques de Vitry **(جاك دي فيتري: أو يعقوب الفيتري، ولد في بلدة فيتري الواقعة على نهر السين، وأصبح كاهنًا لأبرشية أرجنوي عام (607هـ/ 1210م)، وقد جعلت منه زيارته لويني راهبًا، ثم أصبح كاهنًا من كهنة أوستن في مدينة برويك في مقاطعة بربانت الفرنسية بعد ذلك بمدة وجيزة ، وأصبح جاك دي فيتري أحد الرجال القياديين في عصره في وقت قياسي. قام بالدعوة لشن حملة صليبية ضد الألبيجنسيين، ثم كرس حياته لاستعادة القبر المقدس، وشارك في الحملة الصليبية الخامسة سنة (615هـ/ 1218م)، بعد أن أصبح أسقفًا لعكا سنة (613هـ/ 1216م)، ثم بقي في فلسطين حتى عام (622هـ/ 1225م)، عاد بعدها إلى أوربا، واستقال من منصبه الأسقفي، ولكن البابا جريجوري التاسع رقاه كاردينالًا سنة 1229م، وكانت وفاته سنة 1240م (الفيتري، 1998، ص13؛ سمالي، 1984، ص165–166)**، أسقف عكا(613–638هـ/ 1216–1240م) بأن هونوريوس الثالث كان "عجوزًا" وقت توليه البابوية عام(613هـ/ 1216م) (de Vitry, 1998, p. 24)، فيمكن القول إنه وُلد في منتصف القرن الثاني عشر، ويمكن تضييق المدى الزمني المحتمل، ونقول إنه غالبًا وُلد في الخمسينات من القرن نفسه أو حتى أوائل الستينات، وقد اقترح البعض سنة (556هـ/ 1160م) تقريبًا، لتكون تاريخًا محتملًا لميلاد سينسيو، التاريخ الذي يعني –إذا كان صحيحًا– أنه وُلد في السنة نفسها التي وُلد فيها البابا إنوسنت الثالث، الذي وُلد عام(555 او 556هـ/ 1160م أو بدايات عام 1161م) (Manselli, 1963, p. 142).

في حين رأى مؤرخ آخر أنه إذا كان سن سينسيو قرابة الثلاثين عامًا عندما أصبح شماسًا وكاردينالًا لكنيسة سانتا لوشيا S. Lucia **(كنيسة سانتا لوشيا: هي كنيسة رومانية كاثوليكية قديمة ، تقع في روما ، مكرسة للقديس لوسي، تم بناء الكنيسة في موعد لا يتجاوز القرن الثامن فوق أنقاض الهيكل الروماني ، تم بناء أول كنيسة في عهد البابا سيماخوس (498–514) في القرن السادس، وتم ترميم**

المبنى من قبل البابا هونوريوس الأول في القرن السابع ومرة أخرى من قبل البابا ليو الثالث في القرن التاسع،. تم ترميم الكنيسة من قبل البابا هونوريوس الأول حوالي 630 بالقرب من نافورة ضخمة لاكوس أورفي (Goodson, 2010, pp. 101–102)، في أورثيا Orthea عام (589هـ/ 1193م)، فلابد أنه وُلد في عام (662هـ/ 1163م)، أي: في بداية بابوية ألكسندر الثالث، والتي دامت حتى عام (577هـ/ 1181م)، وبناء على وصفه بأنه كان شيخًا وقت انتخابه بابا في عام (613هـ/ 1216م) (Paravicini Bagliani, 2000, p. 688). ووصفه العديد من المؤرخين، مفترضين أنه وُلد فعلًا عام (662هـ/ 1163م)، فإن هذا يعني أن مدة انتخابه للبابوية كانت 53 عامًا، لكن ثمة احتمال أنه كان أكبر من ذلك بعشر سنوات حينها على الأقل (Fabre, 1889–1952, p. 251).

وانتسب سينسيو إلى مدرسة كاتدرائية القديس يوحنا اللاتراني **(كاتدرائية القديس يوحنا اللاتراني: هي واحدة من كنائس روما الرئيسة الأربع ومقر أسقفها، وغالبًا ما يتم تقليد بابا روما مراسم بابويته فيها بوصفه أسقف روما. بنيت الكاتدرائية في القرن الرابع وجددت ورممت عدة مرات خلال تاريخها الطويل، وكانت خلال القرون الوسطى مقر البابا، وفيها انعقدت خمسة مجامع كنسية بين القرنين الثاني عشر والسادس عشر دعيت «المجامع اللاترانية». وفيها انعقدت عام (1348هـ/1929م) المباحثات بين الحكومة الإيطالية والفاتيكان خلال حبرية بيوس الحادي عشر وتم التوصل لاتفاقيات لاتران الثالثة التي نظمت العلاقة بين إيطاليا والكرسي الرسولي وأفضت إلى عدّ الفاتيكان دولة مستقلة، إلى جانب أربع كنائس رئيسة في روما تبعت الفاتيكان (Davenport & MacVeagh, 1915, p. 156)**، والتحق بحاشية جاسينتو بوبوني Giacinto Bobone الكاردينال الروماني، الذي كان شماسًا بكنيسة سانتا ماريا بمنطقة كوسميدين، ليعمل في البداية خادمًا شخصيًا له، وبإيعاز من البابا كليمنت الثالث، مُنح سينسيو لقب مساعد شماس، وعمل خادمًا في القصر البابوي (Pfaff, 1956, pp. 261–316).

وفي عام (584هـ/ 1188م)، أصبح سينسيو وكيلًا للبابا كليمنت الثالث، فضلًا عن أنه كان يمارس أحيانًا صلاحيات أمين خزانة المجلس البابوي (الكوريا Curia)، وذلك عندما تلقى يمين الولاء من ستة من شيوخ روما كانوا قد تبرأوا من أفعالهم ومزاعمهم ضد البابا مقابل مبالغ مالية محددة، وترجع أسباب تبرؤ هؤلاء الشيوخ من أفعالهم ومزاعمهم، إلى الاتفاقية التي أبرمها البابا كليمنت الثالث مع أهل روما (Hirschfeld, 1914, pp. 106–107)..

وحصل أيضًا في العام نفسه (584هـ/ 1188م) على لقب قسيس لكنيسة سانتا ماريا ماجيوري S. Maria Maggiore، وتمتع سينسيو بنفوذ كبير في كنيسة سانتا ماريا ماجيوري، إذ بنى هناك قصرًا عندما كان أسقفًا بدرجة كاردينال في بالسترينا، ومع انتخاب البابا سلستين الثالث عام 1191م، استمر سينسيو في الارتقاء في مدارج الإدارة إلى أن نال أقوى منصبين في القصر البابوي؛ وهما أمين خزانة المجلس البابوي، وأمين سر البابا (Author, 1974, pp. 121–167) (Pfaff, 1974, pp. 121–123).

- **توليه الكرسي البابوي:**

مرت مسيرة سينسيو المهنية في المجلس البابوي بمنعطف جديد عندما توفي إنوسنت الثالث في عام (613هـ/ 1216م)، إذ أُنتخب سينسيو على الفور بابا بالتوافق فيما يبدو أنها تجربته الثانية كمرشح للبابوية، وذلك في بيروجياPerugia **(بيروجيا: مدينة في أواسط إيطاليا عاصمة إقليم أُمبرية ومقاطعة بِرُوجَة مطلة على نهر التيفيري يبلغ عدد قاطنيها 164.782 ساكنًا. تبعد 170 كم شمال روما. تأسست جامعتها عام (707هـ/1307م). وقد جد الباباوات فيها ملاذًا من اضطرابات روما، وكانت مكانًا لاجتماع خمسة اجتماعات بابوية سرية (Perugia Papacy)، بما في ذلك أولئك الذين انتخبوا هونوريوس الثالث، وكليمنت الرابع وسلستين الخامس. 1216) I,Honorius III. اعتادت المدينة على ممارسة سلطة قضائية على أعضاء رجال الدين (Perugia, 2007)**، في الثامن عشر من يوليو، واتخذ اسم هونوريوس الثالث، ورُسم بابا في الرابع والعشرين من يوليو (Sayers, 1984, p. 7; Claverie, n.d., p. 18).

لكن هل اتخذ سينسيو اسم "هونوريوس" تكريمًا للبابا هونوريوس الثاني الذي كان هو أيضًا بابا من أصول متواضعة؟ **(قال آي. إس. روبنسون: إن هونوريوس الثاني كان "من بولونيا، وجذوره الاجتماعية متواضعة ويميل إلى البساطة والتقشف في العيش" (Robinson, 1990, p. 67)**، وإذا كان هذا صحيحًا، فإنه يفسر اختياره لهذا الاسم، ويدعم أيضًا الحجة القائلة إن سينسيو لا ينحدر من أصول نبيلة.

وفي حين أن الحرب الصليبية كانت الحدث الرئيس الذي ميز بابوية هونوريوس الثالث، وكانت هي القضية التي حمل همها أكثر من أي شيء آخر، فإنه أدى أيضًا دورًا مهمًا في مسائل أخرى، إذ ضمن نجاح الدومينيكان **(الدومنيكان: تأسست هيئة الدومنيكان سنة (612هـ/ 1215م), على يد القديس دومنيك St. Dominic (1170–1221) م، وكان هدفها ملاحقة الهراطقة والبدع التي ظهرت جنوب فرنسا، وقد ضمت مجموعة من رجال الدين الذين اضطلعوا بمهمة التبشير بالمسيحية ومحاربة البدع (Slack, 2003, p. 82)**، والفرنسيسكان **(الفرنسسكان: هيئة أسسها الراهب فرانسيس الأسيزي Francis of Assissi (578–624/ 1182–1226)م في أوائل القرن الثالث عشر، وقامت هذه الهيئة على الفقر والطاعة والبساطة والتواضع، وقد توسع نشاطها التبشيري في أجزاء واسعة من العالم القديم، وتسمى جماعتها بتسميات كثيرة، مثل: الإخوان الحفاة أو الفقراء الرماديين نسبة إلى لون ملابسهم، وسموا بالحبليين أو الزناريين؛ نسبة للحبل أو الزنار الذي يلتف حول خصورهم. انظر: ويندوفر: ورود التاريخ، ضمن كتاب الموسوعة الشامية، ج45, ص858–859 (Slack, 2003, p. 82)**، والكرمليينCarmelites **(الكرمليين هم مجموعة دينية تنتمي للكنيسة الكاثوليكية واسمهم مشتق من جبل الكرمل، مكان انطلاقتهم. بدأت هذه المجموعة في نهاية القرن الثاني عشر خلال الحروب الصليبية إذ قامت مجموعة صغيرة من الرهبان اللاتين باستيطان منحدرات جبل الكرمل وهم**

عازمون على تقليد أسلوب حياة مار إيليا المتوحد هناك (Slack, 2003, p. 82)، بأن صادق على رهبناتهم وباركها في الأعوامالتالية ، فضلًا عن أنه حظر أيضًا دراسة القانون الروماني المدني، ويرجع هذا إلى رغبته في تشجيع دراسة اللاهوت، وتعزيز تأثير القانون الكنسي (Paravicini Bagliani, 2000, p. 688; Jotischky, 1995, p. 143). وقبيل نهاية حقبة بابويته، أمر هونوريوس بوضع قانون كنسي جديد استنادًا إلى الخطابات التي تتضمن المراسيم القانونية التي أصدرها، ويُحتفظ بها في السجلات الخاصة بمدة بابويته، وحمل القانون اسم المصنف الخامس Compilatio quinta، والذي أُعلن عنه في عام (623هـ/ 1226م) (Boyle, 1978, pp. 9–19) ;Sayers, 1984, p. 7.

إذًا، كان هونوريوس شخصية مهمة في المجلس البابوي في المدة ما بين ثمانينات القرن الثاني عشر وعام(613هـ/1216م)، إذ جمع بين منصبي أمين الخزانة وأمين السر، ليكون الرجل الثاني في المجلس بعد البابا نفسه، وبالتالي، كان متمرسًا في مدارج السلطة قبل أن يصبح بابا، علاوة على ذلك، كان يتمتع بخبرة دبلوماسية بمعاملاته مع الإمبراطور الألماني فريدريك الثاني، وكون هونوريوس اتبع مسارات أكثر دبلوماسية من إنوسنت لا يعني أنه كان ضعيفًا؛ والتقييم الذي أجريناه أعلاه لأعماله العمرانية، والدراسة التي سنجريها لرؤيته اللاهوتية في الفصل السادس، تكشف لنا أنه كان شخصًا أقوى بكثير مما يوحي ذلك. وفي الواقع، عند المقارنة بين هونوريوس الذي ترعرع أصلًا في بيئة غير نبيلة، بشخص مثل إنوسنت، تلقى تعليمًا جامعيًا، سنعرف إلى أي مدى كانت الرؤية اللاهوتية التي تبناها هونوريوس وأفصح عنها خلال بابويته رؤية جديدة وأصيلة. نعم، لقد حان الوقت أخيرًا لكي نضع حدًا للفكرة القائلة إن هونوريوس كان مجرد ظل لسلفه، مرة واحدة، وللأبد.

حسم انتخاب البابا كاردينالا من كبار الكرادلة وهم؛ أوغولينو كونتيConte Ugolino ، الأسقف الكاردينال لمدينة أوستيا، والذي كان هو نفسه مرشحًا للبابوية، إلا أن صغر سنه آنذاك حال دون انتخابه حينها، وكذلك جويدو بيرليون Guido Berleone، الأسقف الكاردينال لمدينة بالسترينا **(بالسترينا: هي مدينة إيطالية حديثة ومدينة يبلغ عدد سكانها حوالي 22000 نسمة، في لاتسيو، على بعد حوالي 35 كيلومترًا (22 ميلًا) شرق روما، في عام (697هـ/ 1297م)، ثارت عائلة كولونا، التي كانت تمتلك براينيست (المعروفة آنذاك باسم باليسترينا) من القرن الحادي عشر كإقطاعية، ضد البابا بونيفاس الثامن. في العام التالي، تم الاستيلاء على المدينة من قبل القوات البابوية في بونيفاس، وسويت بالأرض وتملحها بأمر من البابا. في عام (841هـ/1437م) تم الاستيلاء على المدينة التي أعيد بناؤها من قبل جيوفاني فيتليسكي، كوندوتييرو في خدمة البابوية، ودُمرت بالكامل مرة أخرى بأمر من البابا أوجينيوس الرابع. وأعيد بناؤها مرة أخرى وحصنها ستيفانو كولونا في عام (852هـ/1448م). تم نهبها عام (934هـ/1527م) واحتلالها من قبل دوق ألبا عام (964هـ/1556م) (Powell, 1977, p. 523; Erdkamp, (n.d) p. 204).** وُصف هذا الاجتماع لانتخاب هونوريوس بأنه أول مجمع مغلق

لانتخاب البابا في التاريخ، توفي إنوسنت الثالث في عام (613هـ/ 1216م) في بيروجيا، حيث كان المجلس البابوي مجتمعًا منذ منتصف مايو، ودُفن في اليوم التالي، وقد حضر الجنازة سبعة عشر كاردينالًا، ويُفترض أن هذا العدد نفسه حضر جلسة انتخاب هونوريوس الثالث (Herde, 1981, p. 15).

واشتهر هونوريوس الثالث خلال مدة بابويته بأنه كان خطيبًا وواعظًا، إذ روي عنه كيف وعظ في الناس في روما تأييدًا للحملة الصليبية الخامسة، وتحدث قائلًا: "اليوم، استولى المسلمون على أورشليم، ويجب أن يستعيدها خلال بابويته". وأردف هونوريوس الثالث أن سقوط أورشليم في أيدي المسيحيين، في طريقها للتحقق، وعند سماع هذه الخطبة، حمل العديد من أهل روما الصليب والحماسة الشديدة تعتريهم، وعندما وصلت الحكاية إلى ألمانيا، لوحوا هم أيضًا بالصليب في نشوة عظيمة (Jotischky, 1995, p. 143).

المطلب الثاني: هونوريوس الثالث والتحضير للحملة الصليبية الخامسة (615-618هـ/1216-1218م)

بعد فشل البابا إنوسنت الثالث في السيطرة على الحملة الصليبية الرابعة، التي انحرفت عن مسارها الأساس، واحتلت القسطنطينية، والتي كان من المقرر توجيهها إلى مصر، وكان لذلك أثر كبير في اهتزاز مكانة البابوية في الوقت الذي كان البابا يسعى جاهدًا لإعلاء شأنها باحتوائها الحركة الصليبية والسيطرة على الغرب الأوربي دينيًا ودنيويًا، وإذا كانت تلك الحملة قد أضاعت بعضًا من النفوذ البابوي فإن حملتي الأطفال **(قام صبي يدعى ستيفن Stephen في الثاني عشر من عمره بالدعوة لحملة صليبية، وتجمع حوله عدد كبير من الصبيان من أبناء وبنات الأمراء بلغوا حوالي خمسين ألف صبي وتقدم بهم ستيفن نحو الشرق ليلقوا هلاكهم أو بيعهم كعبيد في مصر أو تونس، ثم تبعه شاب ألماني آخر يدعى نيقولاس Nicolas وتولى قيادة نحو عشرين ألفًا ولاقوا المصير نفسه حملة ستيفن (رنسيمان، 1997، ص249؛ عمران، 1987، ص139-142؛ عبد العاطي، 1983، ص145-185)**، وما آلتا إليه من نتائج قد قضت على جزء كبير من هيبة البابوية، وأثبتت فشل إنوسنت الثالث في القيام بعمل عسكري ضد المسلمين (عمران، 1987، ص148؛ بدوي، 2019، ص114).

وأثار هذا المجمع نشاط المبشرين الذين ظلوا يجوبون أنحاء العالم المسيحي في الغرب لأجل الدعوة للحملة، والتبشير بها، وأخذ الوعود من أهل تلك المناطق بالمشاركة، وفرض العقوبات على من لم يفِ بوعده (رنسيمان، 1997، ص258).

كانت مصر هي الهدف الذي تطلع إليه الصليبيون، بعد أن أصبحت موضع اهتمام دعاة الحروب الصليبية وزعمائها، وبعد أن أيقن الصليبيون بالشام وأنصارهم في الغرب الأوروبي بأن مصر هي مركز المقاومة الحقيقية في العالم الإسلامي ضد الحركة الصليبية، على الرغم من أن هذه الفكرة لم تكن جديدة

عند الصـليبيين **(كانت مصـر هدفًا سـعى إليه الصـليبيون منذ مجيئهم إلى الشـام في الحملة الأولى، وحاولوا تحقيقه على يد كل من بلدوين الأول البولوني Bladwin of Boulogne وفولك الأنجوي Fulk of Anjou عموري الأول Amaloric I ملوك بيت المقدس على التوالي، ولكن الهدف ازداد رسـوخًا بعد أن تحطمت آمال الصـليبيين في حطين، ثم فشـل الحملة الصـليبية الثالثة، وكل ذلك كان بفضل جهود مصر العسكرية وإمكاناتها الاقتصادية وقيادتها السياسية (عبدالحميد، 1998، ص136).** ولكن الجديد في الأمر هو أن الصـليبيين آمنوا في نهاية القرن الثاني عشـر وبداية القرن الثالث عشـر للميلاد بأن الاسـتيلاء على مصـر يعد ضـروريًا لتأمين مشـاريعهم وبقائهم في الشـام، ودونها لن تسـتقر حياتهم فيها، ووصـل دعاة الحركة الصـليبية إلى نتيجة حاسـمة، هي أن مفاتيح بيت المقدس توجد في القاهرة، وأن عليهم البدء بمصـر أولًا بوصـفها الطريق الأقرب إلى بيت المقدس، وإذا كانت الحملة الصـليبية الرابعة قد خرجت عن الخطة الموضـوعة لها، واتجهت إلى القسـطنطينية بدلًا من مصـر، فإن الحملة الخامسـة التزمت بالطريق المرسـوم واتخذت مصـر ميدانًا لها (باركر، د.ت، ص97؛ عبدالحميد، 1998، ص135–136).

لكن انوسنت الثالث توفي سنة (613هـ/ 1216م)، بعدما شغل كرسي البابوية لمدة ثمانية عشر عامًا وخمسـة أشـهر، وخلفه البابا هونوزيوس الثالث (ويندوفر، 2000، ص744)، وكان هونوريوس الثالث حريصًا على تنفيذ مشروع الحملة الصليبية الخامسة الذي بدأه سلفه إنوسنت الثالث، لأجل السيطرة على مصر، واستعادة بيت المقدس من خلالها (رينسمان، 1997، ص259).

وبداية عام(613هـ/ 1216م)، تولى هونوريوس مهمة التجهيز للحملة الصليبية، وبذلك حمل على عاتقه مسؤولية تحقيق رؤية إنوسنت الثالث وتحويلها إلى واقع، بل إنه التزم حتى بالتاريخ الذي حدده إنوسنت الثالث موعدًا لانطلاق الحملة سنة(614هـ/ 1217م)، والموانئ التي حددها كنقاط انطلاق للقوات الصليبية وهي: بريندیزي Brindisi **(بريندیزي Brindisi : منطقة في إيطاليا كانت تدعى قديما بْرُنْدِسيوم Brundisium . عاصمة مقاطعة بريندیزي في بوليا، في "كعب" إيطاليا على البحر الإدرياتيكي. يبلغ تعداد سكانها (1390هـ/1970م) 82,712 نسمة. وهي ميناء خارجي وداخلي وتصدر النبيذ وزيت الزيتون. وتعد مدخل اليونان. كانت حصنًا لفريدريك الثاني، وبها كاتدرائية (استعيدت في القرن الثامن عشر)، ويعتقد أن هناك عمودًا يميز نهاية طريق أبيًا من جهة الجنوب. كانت مركز بحريًا رومانيًا. وفقدت أهميتها بعد الحروب الصليبية. دمرها زلزال عام (861هـ/1456م)، وانتعشت مرة أخرى بافتتاح قناة السويس (1286هـ/1869م) (Moore, 1978, p. 125)**، وميسينيا Messina **(ميسينا Messina: مدينة إيطالية تدعى قديمًا Zancle. عاصمة مقاطعة ميسينا في صقلية، تقع على الساحل الغربي من مضيق ميسينا تبعد 87 كم شمال شرق كاتانيا. يبلغ تعداد السكان (1394هـ/1974م) 256,066 نسمة. وهي ميناء بحري ومركز اقتصادي. تصدر زيت الزيتون والنبيذ والحمضيات. تصنع**

المكرونة والمواد الكيميائية والصابون وغيرها. استعمرها اليونانيون في القرن الثامن ق.م. ثم توالى على حكمها القرطاجيون والمامارتين والرومان والمسلمون والنورمان والإسبان. تحوي المدينة أبنية قديمة قليلة، وبناياتها الحديثة منخفضة بشكل عام؛ تخوفًا من أي أخطار محتملة. أعيد بناء الكاتدرائية المشهورة بها على نمط القرن الحادي عشر، لكنها تعرضت للتدمير في الحرب العالمية الثانية (Moore, 1978, p. 509)، في الكتاب الذي ألحقه إنوسنت الثالث بالقرارات الصادرة عن المجمع اللاتراني الرابع، وكان كل ما يقوم به هونوريوس الثالث من تحضيرات للتجهيز للحملة في مراحلها الأولى يأتي استجابة للتغيرات الجارية في الأوضاع السياسية آنذاك، ولا يصدر عن رغبة في الالتزام بسياسة إنوسنت الثالث (رنسيمان، 1997، ص260).

- **مفاوضات هونوريوس مع ملوك أوربا لأجل الحملة الصليبية الخامسة**

كانت الحملة الصليبية الخامسة كانت هي أول قضية تعامل معها هونوريوس الثالث عندما جلس على الكرسي البابوي، وكان أول مستند تم توثيقه في مدة بابوية هونوريوس الثالث عام (613هـ/ 1216م) في بورجيا –أول يوم بعد تكريسه كبابا– وهو خطابًا موجهًا إلى ملك بيت المقدس، جون أوف بريين John of Brienne (607–635هـ/1210–1237م) **(يوحنا دي بريين: فرنسي الأصل، وكان أحد القادة العسكريين في فرنسا، وقد اختاره الملك الفرنسي فيليب أغسطس ليتزوج من الملكة ماريا، وعلى الرغم من أن يوحنا كان مفلسًا وفي الستين من عمره؛ إلا أنه كان ذكيًا وصليبيًا متحمسًا للفكرة الصليبية، وقد زوده البابا إنوسنت الثالث، والملك فيليب بمبلغ من المال لأجل الذهاب إلى فلسطين ، ويقال: إن المقصود باختيار يوحنا هو إبعاده عن فرنسا؛ بسبب ما أشيع عن علاقة غرامية بينه وبين إحدى الكونتيسات، وقد وصل يوحنا إلى عكا في سنة (607هـ/ 1210م) ومعه ثلاثمئة فارس صليبي، توفي سنة (635هـ/ 1237م) (رنسيمان، 1997، ص238–240)**، وبطريرك بيت المقدس، وبطريرك أنطاكية، ومعلميّ فرسان الإسبتارية **(الاسبتارية: هي من أقدم الهيئات الدينية الحربية التي ولدت على الأرض المقدسة. وقيل: إن البابا جريجوري الأول العظيم (590– 604م) أرسل أحد رؤساء الأديرة يدعى" روبوس" إلى الأرض المقدسة وكلفه بتأسيس نّزل في بيت المقدس لخدمة الحجاج. وقيل: إن تجارًا آمالفي أسسوا مستشفى في بيت المقدس (414هـ/ 1023م) وأطلقوا عليه اسم مستشفى "القديس يوحنا" بطريرك الإسكندرية في القرن السابع للميلاد. وبعد احتلال الصليبيين بيت المقدس (عام 492هـ / 1099م) تطورت الهيئة إلى منظمة دينية دولية عرفت باسم الاسبتار وعرفت بالعربية إلى الاسبتارية، وبعد وفاة " جيرار" مؤسس تلك الهيئة حوالي سنة (617هـ/1120م) ، ثم أصدر البابا ألكسندر الرابع (652–659هـ/ 1254–1261م) سنة(658هـ/ 1259م) وثيقة أقر فيها رداءً خاصًا بالفرسان وهو عباءة سوداء و معطف أخر عليه صليب أبيض ، ومن قلاعهم " قلعة بيت نوبه" وقلعة بيت جبرين"**

في مملكة "بيت المقدس" وحصن "الأكراد" في إمارة طرابلس، وانتقلوا إلى عكا بعد سقوط القدس بيد صلاح الدين بعد معركة حطين سنة(583هـ/ 1187م) ، وبعد سقوط عكا في أيدي المسلمين سنة (690هـ/1291م) اتخذوا من جزيرة قبرص مقرًا لهم (فوزي، 2007، ص275-279؛ مقامي، 1994، ص10-16)، وفرسان الهيكل، ومسيحيي الأرض المقدسة من العوام (Archivio Segreto Vaticano, n.d).

وكان الهدف من الخطاب إعلامهم بوفاة البابا إنوسنت الثالث، وخلافة هونوريوس الثالث له، وحث فيه البابا الجديد سكان مملكة بيت المقدس ألا يخافوا؛ لأنه، وعلى الرغم من وفاة إنوسنت الثالث، فإن الحملة الصليبية ستأتي إلى الأرض المقدسة، كان إنوسنت الثالث قد سبقه بخطاب مماثلً لعدد من الأطراف المختلفة عندما خلف سيلستين الثالث، ومنهم خطابًا إلى إيمري بطريرك بيت المقدس Aimery of Jerusalem (591-599هـ/1194-1202م) (Bolton, 2000, p. 154).

وفي حين تعهد خطاب إنوسنت الثالث بأن "يكون واجب من واجباته في المستقبل كبابا هو أن يحاول حل مشكلة الأرض المقدسة"، فإن هونوريوس هو من تصدى عمليًا لقضية الحملة الصليبية الخامسة، بعد أن ورثها من إنوسنت الثالث (Bolton, 2000, p. 154-155).

لم يقتصر الامر على ذلك بل اعتمد هونوريوس الثالث على الكرادلة الذين عينهم البابا إنوسنت الثالث، مما عزز من قوة مستشاريه (Veszprémy, 2002, pp. 87-110)، بعد وقت قصير من إرسال هونوريوس الثالث خطابه الأول عام (613هـ/ 1216م)، واصل تنسيق جهود التجهيز لإطلاق الحملة الصليبية الخامسة بإرساله خطابًا في السابع من أغسطس إلى الأسقفيات الفرنسية، والأطراف الرئيسة المعنية بالحملة الصليبية في فرنسا في الموعد الذي حدده إنوسنت الثالث.

وحث هونوريوس أيضًا الملوك على المشاركة في الحملة الصليبية، فدخل في مفاوضات مع أندرو الثاني Andrew II of Hungary **(أندرو الثاني: المعروف أيضًا باسم أندرو القدس، كان ملك المجر وكرواتيا بين 1205 و1235. حكم إمارة هاليتش من (584هـ/1188م) حتى (586هـ/1190م)، ومرة أخرى بين 605هـ/1208م و607هـ/1210م. كان الابن الأصغر لبيلا الثالث ملك المجر، الذي عهد إليه بإدارة إمارة هاليتش التي تم احتلالها في 584هـ/1188م. كان حكم أندرو لا يحظى بشعبية، وطرده البويار (أو النبلاء). أوصى بيلا الثالث بالممتلكات والمال لأندرو، مما أجبره على قيادة حملة صليبية إلى الأراضي المقدسة. اعتلى أندرو العرش في عام 602هـ/1205م. كان أول ملك مجري يتبنى لقب "ملك هاليتش ولودوميريا". لقد شن ما لا يقل عن اثني عشر حروبًا للاستيلاء على إمارات روس، ولكن تم صده من قبل البويار المحليين والأمراء المجاورين. شارك في الحملة الصليبية الخامسة على الأراضي المقدسة في (614-615هـ/1217-1218م) (Almási, 2012, pp. 86-89)**، ملك المجر وكرواتيا، في بدايات عام(614هـ/ 1217م)، وطلب منه أن يوفي بالنذر الذي قطعه والده بيلا

الثالث Bella III (568-593هـ/1172-1196م) **(بيلا الثالث: كان ملك المجر وكرواتيا بين (568-593هـ/ 1172 – 1196م) بحيث أنه الابن الثاني للملك غيزا الثاني من زوجه يوفروسين أميرة كييف، منحه والده قبيل وفاته دوقية شملت كرواتيا ووسط دالماسيا وربما سيرميوم حوالي العام (557هـ/ 1161م) وفي عام (559هـ/ 1163م) ارتحل بيلا إلى القسطنطينية، بعد عقد معاهدة صلح بين شقيقه الأكبر إسطفان الثالث الذي خلف والده في عام (558هـ/ 1162م)، وبين الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنينوس. تم إعادة تسميته بـ أليكسيوس، ومنحه الإمبراطور لقب ديسبوت، وخُطب له ابنته ماريا، وفي صيف عام (560هـ/ 1164م) قام إسطفان الثالث بغزو سيرميوم، مما تسبب ذلك في نزاع مسلح بين الإمبراطورية البيزنطية ومملكة المجر بين عامي (560-563هـ/ 1164 -1167م)**، على نفسه بالمشاركة في الحملة، وعلى هامش مفاوضاته مع أندرو الثاني، أرسل هونوريوس خطابًا بابويًا إلى الملك هنري الثالث Henry III **(هنري الثالث: عُرف أيضًا بهنري وينتشستر، ملك إنجلترا ولورد إيرلندا ودوق أكيتين منذ عام (613هـ/ 1216 م) حتى وفاته عام (671هـ/ ١٢٧٢م) تولى هنري، ابن الملك جون والملكة إيزابيلا من أنغوليم، العرش حين كان يبلغ من العمر ٩ أعوام فقط في منتصف حرب البارونات الأولى. أعلن الكاردينال غوالا أن الحرب ضد البارونات المتمردين حرب صليبية دينية وهزمت قوات هنري، بقيادة ويليام مارشال، المتمردين في معارك لينكولن وسندويتش في عام (614هـ/ 1217م) وعد هنري بالالتزام بالميثاق العظيم لعام (622هـ/ 1225م)، وهو نسخة لاحقة من الوثيقة العظمى، التي حدت من الصلاحيات الملكية وحمت حقوق البارونات الكبار. سيطر هوبير دي بورغ أولًا على الحقبة الأولى من حكمه ومن ثم آلت السيطرة لبيتر دي روش الذين أعاد تأسيس السلطة الملكية بعد الحرب. وفي عام (628هـ/ 1230م)، حاول الملك استعادة مقاطعات فرنسا التي كانت في وقت سابق ملكًا لوالده، إلى أن الغزو كان كارثة. اندلعت ثورة بقيادة ابن ويليام مارشال، ريتشارد مارشال، في عام (630هـ/ 1232م)، انتهت بتسوية سلام تفاوضت عليها الكنيسة (Carpenter, 1996, pp. 58–59)**، ملك إنجلترا الصغير ذو التسعة أعوام في عام (614هـ/ 1217م) يعزيه فيه على وفاة والده الملك جون John (596-613هـ/ 1199-1216م)، ويهنأه على تتويجه (Archivio Segreto Vaticano, n.d, vat9, fol.41).

وعلى غرار أندرو الثاني، ورث هنري الثالث أيضًا نذرًا كان قد قطعه والده على نفسه بالمشاركة في الحملة، لكن هونوريوس الثالث يقر في الخطاب أنه لا ينتظر منه أن يوفي بنذر كهذا وهو في هذه السن الصغيرة، بل على العكس، أظهر البابا رغبته في دعم المملكة الإنجليزية التي تعاني الضعف تحت وطأة الحرب الأهلية، وقد وسّع مسؤوليات ومهام المبعوث البابوي إلى إنجلترا جوالا Guala، القس الكاردينال لكنيسة سانت مارتينو (608-625هـ/ 1211-1227م) ليسميه أيضًا الحامي الشخصي لملك إنجلترا، فضلًا عن النذر الذي ورثه من والده جون بخصوص الحملة الصليبية الخامسة، قطع هنري الثالث نذرًا

آخر على نفسه خلال تتويجه في أكتوبر من عام(613هـ/ 1216م)، إذ تعهد بأن يساعد البابوية في حماية الصليبيين ودعمهم، ومما لا شك فيه أن هونوريوس الثالث قد منى النفس بالطبع بأن يتسنى لهنري أن يفي بنذره في النهاية، لكن بعد انتهاء الحملة الصليبية الخامسة ربما، شهدت الحملة مشاركة إنجلترا بتجريدة عسكرية انطلقت عام(615هـ/ 1218م) تحت قيادة رانولف، إيرل تشيستر Earl Ranulf of Chester (Coventria, 1872–1873, pp. 240–241).

إذًا، لم يعلق البابا الكثير من الآمال على مشاركة التاج الإنجليزي في الحملة الصليبية الخامسة، وفيما يتعلق بفرنسا، لم يُبدِ ملك فرنسا، فيليب أغسطس Philip August (576–620هـ/1180–1223م) **(فيليب أغسطس: ولد في باريس عام (561هـ/ 1165 م) لعائلة كابيه الملكية، وكان والده هو الملك لويس السابع ملك فرنسا بن لويس السادس بن فيلبس الأول بن هنري الأول بن روبرت الثاني بن أوغو كابيه. كان من ضمن أخوات فيلبس الملكة مارغوريت Marguerite ملكة المجر والأميرة أليس Alys كونتيسة فيكسن Vexin وكانتا أختان غير شقيقتين له، ولكن كان من المعروف أنه شقيق الإمبراطورة أجنيس Agnes إمبراطورة الدولة البيزنطية. لاعتلال صحة الملك لويس السابع اضطر إلى تتويج ابنه فيلبس على عرش فرنسا عام (575هـ/ 1179م) وهو ما يزال في الرابعة عشر من عمره، وزوجه من إيزابلا كونتيسة هينو 1180 of Hainaut (Isabella وأعطاها كونتية آرتوا County of Artois كمهر لها. توفي الملك لويس السابع والد فيلبس وشريكه في الحكم في 18 سبتمبر 1180، وبذلك أصبح فيلبس الثاني ملكًا رسميًا لفرنسا. نصب فيلبس الثاني أغسطس ولده لويس الثامن Louis VIII وليًّا للعهد والمولود في 5 سبتمبر 1187 والذي أخذ لقب لويس كونت آرتوا Louis of Artois بعد موت والدته إيزابيل كونتيسة آرتوا عام (586هـ/1190م). شارك الملك فيلبس أغسطس ملك فرنسا في الحملات الصليبية الموجهة لبيت المقدس والشام كأحد قوادها وكشريك أساس للملك ريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا وفردريك بربروسا ملك ألمانيا وإمبراطور الرومانية المقدسة. توفي فيلبس الثاني أغسطس في 14 يوليو 1223 بمدينة مانت، وتولى الحكم من بعده ابنه الملك لويس الثامن وهو جد الملك لويس التاسع (Chisholm, 1911, pp. 378–381)**، اهتمامًا بالمشاركة في الحملة الصليبية الخامسة سواء بإرسال قوات إلى جنوب فرنسا ومن ثم إلى الأرض المقدسة، أو بإرسال قوات إلى الأرض المقدسة مباشرة، في إصرار على موقفه السابق بعدم المشاركة في الحملة الصليبية الرابعة، وذلك بعدما شارك في الحملة الصليبية الثالثة (1189–1191م)، وفي الوقت نفسه، كان إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة المنتخب، الملك الشاب فريدريك Frederick II **(فريدريك الثاني: إمبراطور الرومانية المقدسة (617–648هـ/1220–1250م) ملك صقلية (595–648هـ/1198–1250م) من سلالة هوهنشتاوفن الألمانية. امتاز عهده بالصراع مع البابوية للسيطرة على إيطاليا. قاد الحملة الصليبية السادسة (626–627هـ/1228–1229م) توج نفسه ملكًا على القدس عام (627هـ/1229م). حكم**

فريدريك مملكة صقلية حكمًا جيدًا، وأسس جامعة نابولي عام (621هـ/1224م) وجعل من جامعة ساليرنو أفضل مدرسة طب في أوروبا، وكان طوال حياته في خلاف مع البابوات والمدن الناهضة في ألمانيا وإيطاليا. وقد أعجب فريدريك الثاني بالثقافة العربية الإسلامية وشجع دراستها والترجمة منها. وأصبحت صقلية في عهده مركزاً مهمًا لانتقال الحضارة الإسلامية إلى أوروبا. وقد أغضب اهتمامه هذا رجال الدين المسيحيين فاتهموه بالهرطقة أو الخروج عن الدين. أصبح فريدريك الثاني ملكًا على صقلية عندما كان ما يزال بعد في الرابعة من عمره، وأصبح رأس الإمبراطورية المقدسة قبل بلوغه الحادية والعشرين. أراد توحيد ألمانيا وإيطاليا على الرغم من وجود فوارق كثيرة في الطباع ووجهات النظر والطموح، فضلًا عن اللغة والثقافة، ولكنه لقي مقاومة شديدة من الدول الإيطالية، وفي عام (626هـ/1228م) نظم الحملة الصليبية السادسة وتولى قيادتها، واستولى على القدس وأعلن نفسه ملكًا عليها في السنة التالية (Abulafia, 1988, pp. 23–81)، مشغولًا بتوطيد سلطته في ألمانيا (Riley–Smith, 2005, pp. 148, 176). مما جعل من أندرو الثاني ملك المجر –الذي كثيرًا ما تجاهله المؤرخون الذين عملوا على تاريخ الحملات الصليبية على الرغم من أن التاج الملكي المجري لطالما كان وثيق الصلة بالبابوية– هدفًا حيويًا بالنسبة إلى الكرسي البابوي (Moore, 2003, p. 73).

كانت المجر في بداية القرن الثالث عشر بلدًا تتمتع بنفوذ سياسي في العالم الغربي، وتتوافر فيه موارد مالية كبيرة، مما جعلها مرشحًا قويًا للمشاركة في الحملات الصليبية، فضلًا عن التأييد الشعبي الكبير للمشاركة فيها، بالإضافة إلى التاريخ الدبلوماسي بين البيت الملكي الحاكم في المجر وبين الكوريا البابوية. ومن غير المستغرب في تلك الحالة أن هونوريوس تطلع إلى أندرو الثاني ليكون أحد القادة الرئيسين للحملة الصليبية، إن لم يكن قائد الحملة بألف ولام التعريف، وإن لم تسلط الدراسات التاريخية ضوءًا كافيًا على هذا الأمر (Sweeney, 1981, pp. 481).

كان هونوريوس الثالث وأندرو الثاني على علاقة وثيقة قبل الحملة الصليبية الخامسة، ويبدو أن البابا كان متلهفًا لأن يفي أندرو بنذره، إذ إن عملية التنسيق بين جميع تلك القوات التي تنتمي إلى بلدان غربية مختلفة، والتي كان كل منها يتجهز بوتيرة مختلفة، لم تكن بالعملية السهلة، وكان هذا واضحًا في خطاب أرسله هونوريوس الثالث إلى الصليبيين بمدينة كولون في 27 يناير عام 1217م Archivio Segreto (Vaticano, n.d, vat. 9, fol. 49v)، إذ أخبرهم البابا أن يكونوا مستعدين للانطلاق مع حلول شهر يونيو، وهو الموعد المحدد لانطلاق الحملة الصليبية؛ لأن الملك أندرو "ينفق بسخاء من جهده على الحملة" (Archivio Segreto Vaticano, n.d, vat. 9, fol. 172r).

إلا أن خطاب البابا إلى كولون بالغ في تقدير جاهزية أندرو الثاني؛ لكي يشجع الألمان على الانطلاق في الموعد المحدد، ففي خطاب أرسله إلى الملك بعد بضعة أيام فقط من خطاب كولون، وتحديدًا في 30 يناير، كشف البابا عن رأيه الحقيقي في مدى جاهزية أندرو. جاء هذا الخطاب ردًا على خطاب أرسله

أندرو يزعم فيه أن غير مستعد للانطلاق بسبب ترشحه لعرش الإمبراطورية اللاتينية، لكن وعلى الرغم من أن البابا صدق أن أندرو كان لا يزال عازمًا بصدق على إنقاذ الأرض المقدسة، فإنه راح يحثه على المغادرة بحلول عيد القيامة (Archivio Segreto Vaticano, n.d, vat. 9, fol. 54v)).

أخبر البابا هونوريوس الثالث أندرو الثاني في الخطاب أيضًا أن أي تأخير من جانبه لن يُقابل بصبر أبدًا، ونتيجة لذلك، أرسل هونوريوس الثالث مندوبه هوجولونيو، الأسقف الكاردينال لأوستيا (1206–27) Hugolino, cardinal–bishop of Ostia، وفوضه بجميع الصلاحيات البابوية التي تخول له تفقد وتيرة استعداد أندرو الثاني، وأن يتعامل مع سائر المسائل الأخرى التي أشار إليها في الخطاب Archivio (Segreto Vaticano, n.d, vat. 9, fol. 54v).

إلا أن قدمي هوجولينو لم تطأ المجر قط في الحقيقة، وسبب هذا ربما هو أنه ذهب في مهمة سلام إلى شمال إيطاليا، أو ربما لأن البابا رأى أن مجرد تهديده بإرسال مبعوثًا له إلى المجر كان كافيًا لإقناع أندرو بأن يتوقف عن إضاعة الوقت، وعلى أية حال، يشير اختيار هونوريوس الثالث لشخصية بارزة مثل هوجولينو، والذي كان يعد أحد أهم أعضاء مجمع الكرادلة – إذ سيُنتخب لاحقًا عام (625هـ/1227م) كبابا ويخلف هونوريوس تحت اسم جريجوري التاسع– يشير إلى الأهمية التي أولاها هونوريوس الثالث إلى حملة أندرو الثاني (Riley–Smith, 2005, pp. 148, 176).

وفي شهر يناير أرسل أندرو الثاني خطابًا يرد فيه على البابا هونوريوس الثالث أنه رهن مشاركته في الحملة بشرط الحصول على عدد من المطالب، وأنه أراد أن تُلبى قبل انطلاقه، وتشير الوثائق إلى أن هونوريوس لبى لأندرو مطالبه تلك، أو بعضها على الأقل، وكانت أحد مطالب أندرو هو ضمان البابا لعملية انتقال العرش المجري بسلاسة إلى ابنه في حال موته، المطلب الذي كان مبررًا في الحقيقة بالنظر إلى المخاطر المصاحبة لمسعى مثل الخروج في حملة صليبية، وفي الحادي عشر من فبراير أرسل البابا هونوريوس الثالث خطابًا أسبغ فيه حمايته على أندرو وعائلته ومملكته وأملاكهم، وأنه يضمن انتقال العرش إلى ابنه البكر، بيلا Béla، خلفًا لوالده في حال وصول أخبار مؤكدة بموت الملك وهو في الحملة الصليبية (Archivio Segreto Vaticano, n.d, vat. 9, fol. 60v)).

وفي خطاب يحمل تاريخ 25 فبراير، وأرسله إلى رئيس أساقفة كالوسا Kalocsa وأسقف فيزيزبريم Veszprém، حقق فيه هونوريوس الثالث مطلبًا آخر لأندرو الثاني، إذ أحل فيه خمسة أو ستة من الأوصياء على أبناء أندرو من نذورهم تجاه الحملة، ووُضع بند في هذا الخطاب ينص على أن هذه التعهدات مشروطة بوفاء أندرو الثاني بنذره وانطلاقه في الحملة في موعدها، وفي حال لم يفعل ذلك، تُعدّ هذه التعهدات باطلة ولاغية. قدم هذا الخطاب أيضًا لمحة عما كان يدور داخل المجلس البابوي، ولم يرسل المجلس البابوي أي خطابات أخرى إلى المجر حتى نهاية يوليو من عام (614هـ/1217م)، وحث هونريوس

الثالث أندرو الثاني على الاستعداد للانطلاق للأراضي المقدسة في أقرب وقت (Archivio Segreto Vaticano, n.d, vat. 9, fol. 73v).

ووصلت عريضة أرسلها ألبرت أوف أورلاموند Albert of Orlamünde، كونت هولشتين count of Holstein، يطلب فيها السماح بحل عدد من الأمراء التابعين له من النذور التي قطعوها على أنفسهم تجاه الحملة الصليبية إلى الأرض المقدسة (Archivio Segreto Vaticano, n.d, vat. 9, fol. 50r).

إن تبرير هونوريوس لموقفه هذا بأنه من غير المنطقي محاربة أعداء المسيح في منطقة جغرافية معينة، وترك مناطق أخرى مستباحة أمام هجماتهم، ربما كان محاولة من جانبه للتمويه على عجزه عن رفض الطلب، ففي الوقت الذي يحتاج فيه هونوريوس إلى انطلاق قوات عسكرية من ليفونيا، فإنه من غير المنطقي أن يوافق بكل بساطة على أن يصرف عدد من الفرسان من الحملة الصليبية الخمسة ولو كان عددهم صغيرًا، لكنهم كانوا من أفضل الفرسان، والقوات أيضًا كانت قد انتهت من استعداداتها بالكامل، ويشير هذا الموقف إلى أي مدى كانت تؤثر العرائض التي تُرفع إلى مجلس الكوريا في قرارات القيادة البابوية (Archivio Segreto Vaticano, n.d, vat. 9, fol. 50r).

الوفد الإمبراطوري لفريدريك الثاني إلى هونوريوس الثالث

كان جدول أعمال مجلس البابا هونوريوس الثالث في بدايات عام (614هـ/1217م) مزدحمًا؛ بسبب التجهيزات للحملة الصليبية الخامسة، وبعد أن انتهى من التعامل مع مطالب أندرو الثاني، استقبل البابا هونوريوس الثالث وفدًا رسميًا من فريديريك الثاني، الإمبراطور المنتخب، على أن الهدف من إرسال هذا الوفد بالاستناد إلى الرد المكتوب الذي أرسله هونوريوس الثالث إلى فريدريك الثاني في الثامن من إبريل (Archivio Segreto Vaticano, n.d, vat. 9, fol. 93r) إذ ذكر الخطاب أن الوفد المكون من رئيس دير سانت جال Gall، ووليام ماركيز مونتفرات Montferrat، وعميد كاتدرائية شباير، وحكام قلاع سان مينياتو San Miniato the castellanus of أثار مسألة النذر الذي قطعه فريدريك على نفسه تجاه الحملة الصليبية، وذلك خلال تتويجه ملكًا على الرومان في مدينة آخن الألمانية عام 1215م، وثمة احتمالية أنهم ناقشوا مسألة التتويج الإمبراطوري، وذكر هونوريوس الثالث أيضًا أنه سيرسل مبعوثًا إلى الإمبراطور لمناقشة هذه المسائل معه، وفي الختام، وصى البابا فريدريك على أن يظل مخلصًا للكنيسة، وفي اليوم التالي، أرسل هونوريوس الثالث خطابًا إلى الأمراء الألمان يطلب منهم أن يحافظوا على إخلاصهم تجاه فريدريك (Pokorny, 1886, p. 16).

ويعد خطاب هونوريوس الثالث الذي أرسله إلى فريدريك دليلًا على أن المفاوضات بينهما بشأن مشاركة فريدريك في الحملة الصليبية الخامسة كانت لا تزال جارية، وبحلول صيف عام (614هـ/1217م)، توصل البابا إلى اتفاق مع فريدريك يقضي بأن يقود فريدريك الحملة الصليبية، وأضاف أن أي اتفاق تم لاحقًا بإسناد القيادة إلى شخص آخر لم يكن سوى اتفاق مؤقت حتى يصل فريدريك إلى الشرق، لكن أشار كريستوفر تايرمان Christopher Tyerman إلى أن تولي فريدريك دفة القيادة حدث في وقت أبكر من ذلك حتى، وذكر أنه عندما استلم فريدريك الصليب عام (612هـ/1215م)، "أصبح القائد المفترض للحملة" (Tyerman, 2006, p. 625).

وعلى الرغم من أن أقدم إشارة إلى الحملة في المراسلات التي جرت بين البابا هونوريوس الثالث وفريدريك تعود إلى شهر إبريل، فإنه لا ينبغي أن تكون دليلًا أكيدًا على بدء مفاوضات جدية بين البابا وفريدريك بشأن الموعد الذي يتعين عليه فيه الانطلاق إلى الشرق قائدًا للحملة الصليبية؛ وبالاستناد إلى المصادر، فإن ثمة إشارات عديدة في خطابي 8 و9 إبريل لا تؤكد وجود مفاوضات جادة حول موعد انطلاق فريدريك على رأس الحملة، فبما أن المبعوث الذي كان هونوريوس ينوي إرساله إلى بلاط فريدريك لم تُحدد هويته في خطاب 8 إبريل، فإن ذلك يشير إلى أن البابا لم يقرر بعد من يرسل على رأس الحملة، وفي الحقيقة، لا يبدو أن البابا أرسل أي مبعوث من الأساس؛ لأنه لم يرسل أي خطاب تعيين ولا مراسلات لاحقة تأتي على ذكر هذا المبعوث.

وبناء على ذلك، يمكن استنتاج أن المفاوضات بشأن خروج فريدريك مع قواته وقيادة الحملة ككل لم تكن أمرًا ملحًا، وهذا ما أكده الخطاب الذي أرسله هونوريوس الثالث إلى أمراء ألمانيا في التاسع من إبريل، والذي يمكن أن نعدّه مجرد تشجيع عام لهم على الوقوف بجانب فريدريك، وليس مطالبة من جانب لهم بأن يقوموا بشيء معين بخصوص الحملة، فضلًا عن أنه من المحتمل أن فريدريك كان يستغل مفاوضاته حول قيادة الحملة ليستميل البابا ناحيته ويوافق على تتويجه إمبراطورًا مقدسًا (Hechelhammer, 2004, pp. 86–89).

لكن هذا العدد الصغير من الخطابات التي تبادلها الطرفان في الأشهر التالية لهو دليل على أنه لم يكن هناك مفاوضات جادة بينهما بخصوص الحملة في بداية عام 1217م ، وقال أحد المؤرخين: إن وتيرة المراسلات قد زادت بين عامي 1217 و 1218م، فعند الأخذ في الاعتبار أن موظفي المجلس البابوي من المفترض أنهم مالوا في العادة إلى تسجيل وأرشفة الغالبية العظمى من المراسلات السياسية المهمة التي جرى تبادلها مع القوى العلمانية بخصوص الحملة الصليبية، وبالتالي، فمن المؤكد أنه لو جرى تبادل الخطابات ، فإنها كانت لتجد طريقها إلى الأرشيفين البابوي والإمبراطوري، وأنه عندما ذكر فريدريك في خطاب له بتاريخ 12 يناير عام 1219م أنه يوافق على المشاركة في الحملة، عدّ هونوريوس الثالث هذه الموافقة من الأهمية بمكان لدرجة أنه نسخ الخطاب واحتفظ بالنسخة في الأرشيف البابوي. والتالي، يمكن

أن نعدّ قلة الخطابات بين عامي 1217 و1218م دليلًا على أن البابا ولا الإمبراطور المنتخب اعدّ مشاركة الإمبراطور في الحملة فكرة مطروحة على الطاولة آنذاك. وفي حين يبدو أن هونوريوس قطعًا توصل إلى تفاهم مع فريدريك يقضي بأن يتولى فريدريك قيادة الحملة الصليبية الخامسة، فإنه ينبغي لنا أن نرد تاريخ التوصل إلى هذا التفاهم إلى المدة ما بين عامي 1218 و1219م، أي: في المدة التي نرى فيها أنه جرى تبادل عدد كبير من الخطابات التي دامت حتى وفاة البابا عام (625هـ/1227م) von Raumer, (1857, p. 117).

وصدر خطابان في الرابع والعشرين من يوليو عام 1217م، يوضحان أن هونوريوس الثالث بدأ يفكر جديًا فيمن سيقود الحملة في صيف عام 1217م، كان هذان الخطابان كليهما متعلقًا بالتجمع المفترض للقوات العسكرية الغربية الرئيسة المشاركة في الحملة في قبرص، والذي كان مقررًا أن يتم في الثامن من سبتمبر، وأرسل هونوريوس أحدهما إلى عدد من رجال الكنيسة الإيطاليين يخبرهم فيه أن أندرو الثاني، وليوبولد السادس، دوق النمسا (595–628هـ/1198–1230 م)، وجميع القوات المشاركة في الحملة ستلتقي في قبرص، وحثهم على أن ينشطوا أكثر في التبشير بالحملة لتجنيد المزيد من الجنود (Archivio Segreto Vaticano, n.d, vat. 9, fol. 138r).

وأُرسلت نسخة أخرى من هذا الخطاب، لكنها كانت مختلفة بعض الشيء، إلى جون دي بريين، ملك بيت المقدس، وإلى فرسان الهيكل والإسبتارية المرابطين في مملكة بيت المقدس وأعلم هذا الخطاب أيضًا متلقيه بالتجمع المفترض للقوات المختلفة، وطلب منهم أن يذهبوا إلى قبرص في الموعد المحدد أو أن يرسلوا رسلًا عنهم في حال احتاجت القوات هناك إلى المشورة (Archivio Segreto Vaticano, n.d, vat. 9, fol. 138r).

لكن في النهاية، فإن هذا التجمع الذي كان مخططًا له أن يحدث في قبرص لم يتم، ويرجع إلى مشكلات في التنسيق. ومع ذلك، تكشف الخطابات البابوية إلى أي مدى كان هونوريوس الثالث حينها مهمومًا بالتفكير فيمن سيتولى قيادة الحملة وأخيرًا، هناك عدد من الاستنتاجات المهمة التي يمكن استخلاصها من ذلك. أولًا، من الواضح أن هونوريوس لم يكن يشعر أن فريدريك سيخرج على رأس حملة في المستقبل القريب، أو أنه لم يصل إلى اتفاق معه بخصوص قيادته للحملة، وإلا كان ذكر اسمه بوصفه قائد الحملة في الخطابات كما كان يحدث في الخطابات اللاحقة، أو كان ليطلب منه أن يرسل مبعوثين إلى البلاط البابوي. وهذا قول البعض بأن فريدريك أصبح هو "القائد المفترض" للحملة منذ عام (612هـ/1215م) فصاعدًا، ثانيًا، وبما أن التجمع كان مخططًا له أن يتم في قبرص لا مملكة جون (بيت المقدس)، فإن ذلك يوحي بأن البابا أو أندرو كانا يحاولان ربما إخراج جون من الصورة خلال عملية اتخاذ القرار. ثالثًا –الاستنتاج الذي يتصل بالاستنتاج الثاني؛ بأن البابا أو أندرو كانا يحاولان إخراج جون من

الصورة– يبدو أن هونوريوس كان يأمل أن يؤدي أندرو دورًا قياديًا في الحملة، على أن يكون ليوبارد هو نائبه، كما سيتضح لنا بعد ذلك في المسار الذي ستأخذه الأحداث (رنسيمان، 1997، ص275).

- **حملة أندرو الثاني**

لم يعتقد أي من المؤرخين أن أندرو الثاني كان جديرًا –في عيني هونوريوس الثالث على الأقل– بأن يكون هو المرشح الأول لقيادة الحملة الصليبية الخامسة، لكن تظهر السجلات البابوية عند إمعان النظر فيها، أن هونوريوس كان يرى أندرو الثاني خياره الأول قائدًا عامًا للحملة الصليبية عام (614هـ/1217م)، لكن في النهاية، أضاع أندرو الفرصة على نفسه، وبما أن قواته لم تدم طويلًا، ولم تترك سوى أثر محدود، فإن الباحثين لم يمنحوا أندرو قدره الذي يستحقه كأحد أهم قادة الحملة الصليبية الخامسة، فبعد أن أبحر من الغرب في خريف عام (614هـ1217م)، تخلى أندرو عن الحملة في يناير 1218م، مما جعل البعض يقيمون دوره في الحملة على ضوء انسحابه المخزي، ويتجاهلوا حقيقة أنه كان قائدًا واعدًا. مما يعكس تركيز العديد من مؤرخي الحملات الصليبية على المصادر التقليدية التي أرخت للحملة الصليبية الخامسة، ولو أن المراسلات تحكي قصة مختلفة (Sweeney, 1981, pp. 481).

انسحاب أندرو من الحملة عام (615هـ/1218م) ألحق بسمعته أضرارًا لم تتعافى منها قط حتى اليوم، فقال المؤرخ رنسيمان Runciman مثلًا إن حملة أندرو لم "تحقق أي شيء"، أما جيمس روس سويني فدعا إلى "الرفق بعض الشيء" بأندرو الثاني، إذ أشار إلى أن تجريدة أندرو حققت أكثر مما يظن معظم المؤرخين (Sweeney, 1981, pp. 481). ومع ذلك، رأى باول أن أندرو لم يكن خيار البابا الأول لقيادة الحملة، وبالنسبة إلى المؤرخ المجري زولتان جاي كوستولنيك Z.J. Kosztolnyik، فقد حط بشدة من شأن حملة أندرو الثاني، إلى حد أنه زعم أن حملته لا يمكن عدّها حملة صليبية؛ لأنها لم "تكن حملة عسكرية حقيقة وجدية"، ووصف من شاركوا فيها من المجريين بأنهم كانوا مجرد "مغامرين" لأنه لم يكن لديهم أي دافع ديني (Kosztolnyik, 1996, pp. 60, 64). أما المؤرخ جيولا كريستو Gyula Kristó فقد مر على تجريدة أندرو مرور الكرام (Kristó, 2000, pp. 128–129). وحديثًا، انتقد المؤرخ المجري أتيلا باراني Attila Bárány، المزاعم التي تقول إن المؤرخين لم يقدروا تجريدة أندرو حق قدرها، وتحدث بسلبية شديدة عن التجريدة (Veszprémy, 2002, pp. 87–110).

لكن تستحق حملة أندرو الثاني في الواقع تستحق الاهتمام، فأندرو لم يكن خيار البابا المفضل لقيادة الحملة، لكن حجم القوات التي حشدها مع الدوق ليوبولد في ميناء مدينة سبليت Split كان معتبرًا (عمران، 1987، ص169)، وامتازت قواته بتماسكها وتجانسها؛ إذ كانت من المجريين والنمساويين، ويرتبطون ببعضهم ببعضٍ بروابط الجغرافيا وروابط الدم، ويحكمون مناطق متجاورة تتعامل فيما بينهما بعملة واحدة، فضلًا عن أن الجيش قوامه وحدات عائلية تعيش في المنطقة نفسها Sweeney, 1981, pp. 478–

(479). ضم جيشه ابن عمه الدوق ليوبولد، ونسيبه الدوق أوتو السابع، دوق أنديكس ميرانيا Andechs–Merania، وشقيق أوتو، إيجبرت، أسقف بامبيرج، وجدير بالذكر أن عائلة بابينبرج، التي انتمى إليها ليوبولد، لها تاريخ ممتد في الحملات الصليبية (Morton, 2011, pp. 47–48). ويمكن أن نقول إن أندرو الثاني كان الملك الوحيد في الغرب الذي أبدى استعدادًا لقيادة الحملة الصليبية بالنظر إلى القوة العسكرية الكبيرة التي كانت في حوزته.

وحشد أندرو الثاني عددًا كبيرًا من القوات، وأنفق أيضًا الكثير من الموارد المالية لدعم الجانب اللوجيستي لتجريدته (Sweeney, 1981, pp. 479). ففي أوائل عام 1217، أرسل الملك ألكسندر، رئيس كاتدرائية ترانسيلفانيا، ومعلم فرسان الإسبتارية المجريين، إلى البندقية لإحضار السفن التي ستستعمل في نقل جيشه إلى الأرض المقدسة، وكان من المقرر أن تُسلم السفن إلى ميناء سبليت بحلول عيد القديس جيمس (25 يوليو)، على أن تنتظر هناك وصول أندرو في غضون شهر، وفيه دليل على مدى الالتزام العميق والجدي من جانب أندرو الثاني تجاه الحملة، فإنه كان على استعداد للتنازل بشكل دائم عن مدينة زارا Zara المتنازع عليها مع البندقية مقابل السفن (Thomas of Split, 2006, p. 162).

ولم يتمكن أندرو من تأمين عدد كافٍ من السفن لنقل جيشه، الذي لا بد أن عدده كان أكبر من أن تستوعبه السفن التي أُتفق أن تؤمنها البندقية، والتي بلغ عددها 10سفن كبيرة مع عدد آخر من السفن الصغيرة (Thomas of Split, 2006, p. 162). وزعم المؤرخ توماس أوف سبليت Thomas of Split أن جيش أندرو تكون من أكثر من 10 آلاف فارس، وعدد لا يعد ولا يحصى من المشاة (Thomas of Split, 2006, pp. 160). ومن الواضح أن المؤرخ يريد أن يوحي للقارئ بأن أندرو حشد جيشًا كبيرًا جدًا، ولو أن فان كليف يؤكد أن العدد أكبر من أن يؤخذ على وجهه الحرفي، وذكر كتاب تاريخ البطاركة أن أندرو وصل إلى الشرق مع مئة وستين سفينة، وسفينة نقل مؤن، مع جيش مكون من 4000 فارس و90 من المشاة (ابن المقفع، 2006، ص1722). الرقم الذي ذكره الكتاب بخصوص أعداد السفن والفرسان رقم معقول، إلا أن عدد المشاة من الواضح أنه مبالغ فيه بشدة، لكن من المؤكد بالاستناد إلى جميع المصادر أن أندرو نجح في جمع جيش كبير يسمح له بتأدية دور قيادي في الحملة. وعليه، لا يجب أبدًا أن نستهين أو نقلل من شأن ملك استطاع أن يجمع كل هذا العدد.

وأشار أحد المؤرخين إلى أن الملك تقاعس عن التحضير لحملته كما ينبغي، وأن دافعه الوحيد للمضي قدمًا في الحملة هو رغبته في المطالبة بعرش الإمبراطورية اللاتينية (Kosztolnyik, 1996, pp. 60). لكن مؤرخًا فند هذه النظرية قبل أن يقول بها كوستولنيك حتى، ووصفها بأنها "غير صحيحة بالمرة" (Sweeney, 1981, pp. 478). وزعم الأول أيضًا أنه عندما أُختير بطرس الثاني بدلًا من أندرو للجلوس على عرش الإمبراطورية اللاتينية، فإن الملك لم يذهب إلى الأرض المقدسة في نهاية المطاف إلا لكي يوفي بنذر والده، إلا أن هذا الزعم يقلل من شأن أندرو، ويشير ضمنًا إلى أن أندرو لم

يكن لديه أي دافع ديني للمشاركة في الحملة، فضلًا عن أنه لا تفسر الهبات الضخمة التي وهبها أندرو إلى الفرق الدينية العسكرية (فرسان الهيكل والإسبتارية) للدفاع عن الأرض المقدسة وهو في طريق عودته إلى الوطن بعد أن انسحب من الحملة، الأمر الذي سنحلله في الصفحات الآتية (Kosztolnyik, 1996, pp. 60).

لا يوجد سوى مصدر تاريخي واحد يذكر أن أندرو الثاني كان قائد الحملة في مراحلها الأولى، الأمر الذي يبين إلى أي مدى هيمنت المصادر التاريخية غير المجرية على عملية تاريخ الحملة الصليبية الخامسة، تحدث هذا المصدر، والذي يُعرف باسم تاريخ المجر Chronicon de gestis Hungarorum (يُعرف أيضًا باسم "المصدر البراق") (بسبب الاستعانة بالمعادن والألوان اللامعة في كتابته –المترجم)، وكُتب في منتصف القرن الرابع عشر، واستند إلى نصوص تاريخية أقدم، عن قيادة أندرو للحملة الصليبية خلال التجريدة التي خرج على رأسها ولم تدم طويلًا، وأنه ذكر –الأمر غير المفاجئ ربما– أنه قاد جيشه لتحقيق نصر مدوٍ على المسلمين (Róna–Tas, 1999, p. 15).

ومن المرجح أن أندرو الثاني رأى نفسه قائد الحملة الصليبية، ولاسيما أن أول اجتماع صليبي كبير عُقد في المعسكر الملكي المجري (Perry, 2009, p. 132). وكما يبدو عمومًا أن أندرو وجون دي بريين لم يكونا على وفاق، وأن أندرو حافظ على مسافة بينه وبين جون، مما أثر بالسلب على وحدة الجيش الصليبي وتماسكه، الأثر الذي وصل إلى ذروته بانسحابه من الحملة في النهاية، وأن جون قد فرض نفسه قائدًا للحملة، الأمر الذي قضى على دافع أندرو بالاستمرار (Sweeney, 1981, pp. 479).

قال جوتيشكي Jotischky :إن المجريين والألمان "هيمنوا" على الحملة في مراحلها الأولى (Jotischky, 1995, p. 216)، فحجم قوات أندرو كان من المفترض أن يمنحه نفوذًا كبيرة في قيادة الحملة، ويجعله الآمر والناهي في كل شيء، لكنه فشل في تحويل هذه "السطوة النظرية" إلى هيمنة عملية تخول له فرض سلطته من دون أن ينازعه فيها أحد.

ولا توجد أي مؤشرات تدل على أن المجلس البابوي كانت لديه معلومات على أن أندرو ضاق ذرعًا بالحملة حتى نوفمبر عام 1217م، وقبل نهاية الشهر تلقى هونوريوس الثالث رسالة من معلم فرسان الهيكل في بيت المقدس، ويليام أوف شارتريس William of Chartres، كُتبت عند نهاية شهر أكتوبر (Claverie, 2005, pp. 432–433)، وتحدث الخطاب عن نشاطات الصليبيين في بداية الحملة، ووضع المؤن لديهم، وخطتهم لمهاجمة مدينة دمياط **(وصف ياقوت الحموي دمياط فقال:" فأما دمياط فمن شمالها يصب ماء النيل على البحر المالح في موضع يقال له الأشتوم، عرض النيل هناك نحو مئة ذراع وعليه من الجانبين برجان، بينهما سلسلة حديد عليها حرس لا يخرج مركب إلى البحر المالح ولا يدخل إلا بإذن، وعلى سورها محارس ورباطات" (الحموي، 1977، ص473)**، المصرية، وبعد أن تلقى هذه المعلومات، اقتبس البابا محتوى الخطاب وأرسله في خطاب له إلى رئيسي أساقفة سيكسفيهيرفار

Székesfehérvár (المجرية) وريمس Reims (الفرنسية) في الرابع والعشرين من نوفمبر، يحتفي فيه ببدء الحملة بنجاح، وحث فيه الرجلين على إرسال تعزيزات إلى الصليبيين (Archivio Segreto Vaticano, n.d, vat. 9, fol. 178r).

وعلى الرغم من استبشار أعضاء المجلس البابوي خيرًا بملك المجر على رأس الحملة، فمن الواضح أن أندرو نفسه لم يشاركهم مشاعرهم هذه، وقوبلت مغادرته للأرض المقدسة في يناير من عام 1218م بانتقادات من جانب المؤرخين، إذ وصفت انسحابه من الحملة بأنه كان انسحابًا مكللًا بالعار (Historiens occidentaux, 1859, p326).

ووضح توماس دوافع أندرو للعودة إلى الوطن بأنه كان يريد حماية حياته وضمان أمن مملكته التي لم يرغب بأن يعرضها للخطر ولاسيما أنه قام بما يكفي بالفعل ليكي يفي بالنذر الذي قطعه، إلا أن أندرو نفسه أرسل في أحد أيام عام 1218م بعد عودته إلى الغرب رسالة إلى هونوريوس الثالث حاول فيها أن يبرر انسحابه (Fejér, 1829, pp. 250–254).

ولم تذهب حملة أندرو الثاني القصيرة هباءً بالنسبة إليه، وأنه لم يكن مهتمًا بالحملة الصليبية، أو لم يكن حريصًا على الدفاع عن الأرض المقدسة، إذ إنه زار قلعتي الحصن والمرقب التابعتين لفرسان الإسبتارية، واتفق على ترتيب زواج ابنه أندرو من الأميرة الأرمينية إيزابيل، وابنه بيلا من ماريا، ابنة ثيودور الأول لاسكرياس، إمبراطور نيقية (605–619هـ/1208–1222م)، وأن أحد أهداف أندرو الثانوية من رحلة عودته إلى الوطن هو تأمين الجانب الشمالي لمملكة بيت المقدس عن طريق تحالفات الزواج والتبرعات، وأن الملك كان يأمل تخفيف شعوره بالذنب بسبب تخليه عن الحملة الصليبية.

أرسل فرسان الإسبتارية بعد أن حصلوا على تبرعات أندرو عريضة إلى البابا هونوريوس الثالث يطلبون فيها أن يصدق على التبرعات ويؤكدها، وحققت العريضة مرادها؛ إذ أصدر البابا عددًا من المراسم في نهاية يونيو من عام 1218م، والتي كشفت عن مدى كرم أندرو، فالمرسوم المؤرخ بتاريخ الخامس والعشرين من يونيو أكد أن الملك سيتبرع سنويًا بـ 500 مارك من الفضة لصالح الجماعات الدينية، تُقتطع من عائدات أندرو من مناجم الملك في سزاكاكس (Archivio Segreto Vaticano, n.d, vat. 9, fol. 275v)، وفي الوقت نفسه أكد مرسوم آخر تبرعًا إضافيًا على أساس سنوي، لكنه هذه المرة 100 مارك من الفضة، ومخصص لقلعة المرقب، وفي اليوم التالي أصدرت أمانة السر البابوية مرسومًا آخر يؤكد منح أندرو أراضٍ للجماعات الدينية، وأخيرًا وفي 27 يونيو أكد البابا منح أندرو منحة أخرى سنوية قدرها 100 مارك فضي مخصصة لقلعة الحصن (Archivio Segreto Vaticano, n.d, vat. 9, fol. 275r).

هذه التبرعات والمنح مهمة تكشف طبيعة شخصية أندرو الثاني، وأنها توضح بشكل أفضل ملابسات تجريدته بعيدًا عن روايات المؤرخين المعاصرين للحملة، التي ما انفكت تحط من قدره وتدينه، ولم يسبق

للدراسات التاريخية الحديثة أن قدرت ورع أندرو وحرصه على إتمام الحملة في البداية حق قدره، وعلى الرغم من أن تلك المنح والتبرعات تشهد على أن أندرو لم يكن مجرد متخاذل عن الحملة الصليبية، وانسحاب أندرو من الحملة من المؤكد أنه يدينه، لكن لم تفشل حملته فشلًا ذريعًا، بل كانت فرصة ضائعة، ولاسيما بالنسبة إلى البابا هونوريوس الثالث؛ لأنه كان يعلق الكثير من الآمال على حملة ملك المجر في الحملة الصليبية الخامسة (Thomas of Split, 2006, pp. 160).

وخلاصة القول إنه بتحليل السجلات البابوية تحليلًا دقيقًا، يظهر الدور الذي أداه أندرو الثاني كأول قائد للحملة الصليبية الخامسة، ولكنه لم يُقدر قدرًا كافيًا، وأن الدور الذي أداه أندرو، ودعم هونوريوس الثالث له، يقدمان صورة مختلفة عن الدبلوماسية البابوية في المراحل الأولى من الحملة الصليبية الخامسة، وأثبتت أنه لم يكن قد تقرر بعد أن يكون فريدريك خلال المدة ما بين 1216م و1218 م القائد الاحتياطي للحملة، لكن يبدو لنا أن حجم القوات التي استطاع أندرو الثاني حشدها لم تجعل من مشاركة الإمبراطورية الرومانية حاجة ملحة في تلك المرحلة.

وبعد أن تراجع أندرو الثاني واتجه لوطنه، تغير الموقف، واتجهت الأنظار إلى فريدريك ليملأ الفراغ الذي تركه أندرو الثاني، وذلك بعد أن أرسل الصليبيون في الشرق مناشدات بإرسال تعزيزات.

وكان يأمل هونوريوس بمشاركة الفريزيين إلى جانب الحملة المجرية ليشكلوا قوة ضخمة، ولكن أمله كان سابقًا لأوانه، إذ تأخر الأسطول الفريزي، ولم يصل إلا إلى البرتغال في شهر يوليو. ثم بقي جزء منه في لشبونة، في حين أبحر الجزء الآخر إلى جايتا Gaeta **(جايتا Gaeta: مدينة إيطالية تقع على جرف على خليج جايتا. في مقاطعة لاتينا، أو لاتيوم, تبعد حوالي 69 كم شمال غرب نابولى، وفيها هزمت الجيوش الإيطالية (1277–1278هـ/1860–1861م) فرانسيس الثاني حاكم نابولي. يبلغ تعداد السكان (1971) 22,885 نسمة. تشتهر بصيد الأسماك، وتصنع الزجاج. كان الساحل المجاور ذا أهمية للرومان القدماء (Moore, 1978, p. 294)**، في إيطاليا، ولم يصلوا إليها إلا في شهر أكتوبر، وأصبح لزامًا عليهم الانتظار حتى نهاية فصل الشتاء، في حين وصلت القوات المجرية إلى سبالاتو فى دالماشيا **(دالماشيا (يوغسلافيا): وهي لسان بحري يمتد من الساحل الإدرياتيكي في كرواتيا، ذات مجرى ضيق يعطى مدينة الهرسك مخرجًا على البحر، تمتد من قناة فيليبيت شمالًا إلى خليج كوتور جنوبًا. المياه الإدرياتيكية المجاورة تزينها جزر باج ودوجى واوتوك وبراك وهفار وكورتشولا. وهي منطقة جبلية غير مثمرة في معظم اجزائها (جبال الالب الدينارية)، مدينة خلابة بها العديد من المنتجعات والموانئ (تشمل اسبلاتو ودوبروفنيك وشيبينيك وزادار). قطن بها السلاف (الصقالبة) في القرن السابع عشر والثامن عشر. حكمها الفينيسيون منذ عام (823هـ/1420م). ثم انتقلت إلى النمسا (1212هـ/1797م)، وإلى إيطاليا (1220هـ/1805م)، ومرة أخرى إلى النمسا (1231هـ/1815م). أصبحت جزءًا من يوغوسلافيا (1338هـ/1919م) عدا زارا (زادار) وبعض الجزر التي ظلت إيطالية،**

لكنها انتقلت في النهاية إلى يوغوسلافيا عام (1367هـ/1947م) (Moore, 1978, p. 215)، خلال أغسطس سنة 1217م.

أصبح هونوريوس الثالث في حيرة بسبب تأخر القوات، هل يؤخر الحملة مرة أخرى، وبالتالي يترك آلاف من المحاربين عاطلين في الموانئ الجنوبية؟ أم يقوم بإرسال الأعداد المحدودة إلى الشرق للهجوم في أي وقت ممكن؟ وفضل في النهاية الحل الأخير؛ ففي الرابع والعشرين من يوليه 1217م، حث هونوريوس الصليبيين المحتشدين في كل المدن الإيطالية على الذهاب إلى قبرص، وعلى الرغم من عدم وجود السفن اللازمة لنقلهم إلى عكا، غير أن دوق النمسا ليوبولد استطاع هو الآخر استقلال سفينة حملت قواته القليلة إلى عكا، لتصل بعد ستة عشر يومًا، في حين لحق به الملك أندرو الثاني بعد أسبوعين بمن استطاع حمله من القوات، وتخلفت وراءه مجموعة كبيرة من جيشه، وكان قد سبقهم جميعًا إلى عكا الملك هيو Hughملك قبرص (1205–1218م) (Historiens occidentaux, 1859, p.322). لأجل الاجتماع مع الملك يوحنا دي بريين **(يوحنا دي بريين: فرنسي الأصل، وكان أحد القادة العسكريين في فرنسا، وقد اختاره الملك الفرنسي فيليب أغسطس ليتزوج من الملكة ماريا، وعلى الرغم من أن يوحنا كان مفلسًا وفي الستين من عمره؛ إلا أنه كان ذكيًا وصليبيًا متحمسًا للفكرة الصليبية، وقد زوده البابا إنوسنت الثالث، والملك فيليب بمبلغ من المال لأجل الذهاب إلى فلسطين ، ويقال إن المقصود باختيار يوحنا هو إبعاده عن فرنسا بسبب ما أشيع عن علاقة غرامية بينه وبين إحدى الكونتيسات، وقد وصل يوحنا إلى عكا في 13 سبتمبر 1210م ومعه ثلاثمئة فارس صليبي، توفي سنة 1237م (رنسيمان، 1997، ص238–240)** لتحديد أي جزء من أراضي المسلمين سيقومون بغزوه (ابن واصل، د.ت، ص254).

وفي ذلك الوقت، قام هونوريوس الثالث بتعيين موفدين بابويين في جنوب إيطاليا، في ميســـينينا Messina **(ميسـينا Messina: مدينة إيطالية تدعى قديمًا Zancle. عاصـمة مقاطعة ميسـينا فى صـقلية، تقع على السـاحل الغربي من مضـيق ميسـينا تبعد 87 كم شـمال شـرق كاتانيا. يبلغ تعداد السكان (1394هـ/1974م) 256,066 نسمة. وهي ميناء بحري ومركز اقتصادي. تصدر زيت الزيتون والنبيذ والحمضـيات. تصـنع المكرونة والمواد الكيميائية والصـابون وغيرها. اسـتعمرها اليونانيون في القرن الثامن ق.م. ثم توالى على حكمها القرطاجيون والمامارتين والرومان والمســـلمون والنورمان والإسبان. تأسست بها جامعة عام 956هـــ/1549م). وهي آخر مدينة في صـقلية حررها جوزيبي جاريبالدي عام (1277هـ/1860م). دمرتها الزلازل مرتين عامي 1783 و1908، وكان الأخير كارثيًا. تحوي المدينة أبنية قديمة قليلة، وبناياتها الحديثة منخفضة بشكل عام؛ تخوفًا من أي أخطار محتملة. أعيد بناء الكاتدرائية المشهورة بها على نمط القرن الحادي عشر، لكنها تعرضت للتدمير مرة أخرى في الحرب العالمية الثانية (Moore, 1978, p. 509)**' وبرنديزي Brindisi **(برينديزي Brindisi : منطقة في إيطاليا كانت تدعى قديما بْرُنْدِسيوم Brundisium . عاصمة مقاطعة برينديزي في بوليا,**

في "كعب" إيطاليا على البحر الإدرياتيكي. يبلغ تعداد سكانها (1390هـ/1970م) 82,712 نسمة. وهي ميناء خارجي وداخلي وتصدر النبيذ وزيت الزيتون. وتعد مدخل اليونان. كانت حصنا لفريدريك الثاني، وبها كاتدرائية (استعيدت في القرن الثامن عشر)، ويعتقد أن هناك عمودًا يميز نهاية طريق أبيًا من جهة الجنوب. كانت مركزًا بحريًا رومانيًا. وفقدت أهميتها بعد الحروب الصليبية. دمرها زلزال عام 1456, وانتعشت مرة أخرى بافتتاح قناة السويس (1286هـ/1869م) (Moore, 1978, p. 125)، لتقديم الخدمات الدينية لهم، وحل أي مشكلة تحتاج للتدخل البابوي، وبالنسبة إلى الحملة الصليبية نفسها؛ فقد تم اختيار الكاردينال بلاجيوس الذي ذاعت شهرته في البلاط البابوي بعد انتهاء مهمته في القسطنطينية منذ عدة سنوات، ورأى البابا فيه من الحكمة والخبرة ما جعله يثق فيه ثقة كبيرة في هذه المهمة، وكان على بلاجيوس إثبات هذه الثقة بقبول هذا العبء الجديد، ولذلك فإن البابا سعى لإرضائه بمنحه النفوذ على السلطة العلمانية لمدينة ألبانو Albano التي كان أسقفًا لها والتي تنتمي بشكل رسمي للكنيسة الرومانية (Historiens occidentaux, 1859, p.322).

تلك كانت جهود البابا هونوريوس الثالث في الدعوة للحملة الصليبية الخامسة والتجهيز لها حتى انطلاقها نحو مصر، وأكمل هونوريوس متابعته وإدارته للحملة الصليبية حتى نهايتها، ولكن ما يهم موضوع البحث هو الدعوة للحملة وحتى مبادرة الصليبيين للتحرك نحو الشرق.

الخاتمة:

1. بروز شـــخصـــية البابا هونوريوس منذ تدرجه الوظيفي بالكنيســـة الكاثوليكية حتى اعتلائه كرســـي البابوية .
2. العمل على دعوة الصـــليبيين في اوربا للحملة الخامســـة من خلال الخطاب الديني الذي دعي اليه في روما.
3. اعادة هيبة البابوية بعد أن فشـــلت الحملة الصـــليبية الرابعة بعد توجهها الى القســـطنطينية وظهور حملة الاطفال التي بسببها اهتزت مكانة البابوية لدى المجتمع المسيحي.
4. إرسال خطاب تطمين الى مسيحيي بيت المقدس بأن الحملة الصليبية ستسير الى الشرق كما هو محدد لها من قبل البابا انوست الثالث.
5. حث البابا قادة اوربا للوفاء بالنذور التي قطعوها لأجل تحرير بيت المقدس، وأنه يجب عليهم التوجه لحماية مسيحي بلاد الشام من القوات الإسلامية.
6. الاعتماد على الاســـاطيل الإيطالية بنقل الجيوش والمؤن، واعتمد على قوات بيت المقدس وفرســـان الهيكل والاسبتارية الموجودين في مملكة بيت المقدس الصليبية.

قائمة المصادر والمراجع:

أولًا: المصادر العربية والمعربة

1. ابن واصـــل، أبو عبدالله جمال الدين محمد بن ســـالم (ت: 697هـ/1298م). مفرج الكروب في أخبار بني أيوب. ج3. تحقيق: جمال الدين الشيال. القاهرة: دار الفكر العربي. د.ت.

2. باركر، آرنست. (د.ت). الحروب الصليبية. ترجمة: السيد الباز العريني. ط2. بيروت: دار النهضة العربية.

3. بدوي، علي عمر. (2019). بلاجيوس ودوره في الحركة الصـــليبية (1165–1230م). ســـوريا: دار نور حوران للنشر.

4. الحموي، شـــهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله (ت:626هـ/1229م). (1977). معجم البلدان. ج2. لبنان–بيروت: دار صادر.1977.

5. رنســـيمان، ســـتيفن. (1997). تاريخ الحروب الصـــليبية. ترجمة: الباز العرينى. مج3، ق1. لبنان–بيروت: دار الثقافة.

6. سمالي، بيريل. (1984). المؤرخون في العصور الوسطى. ترجمة: قاسم عبده قاسم. ط2. القاهرة: دار المعارف.

7. عبدالحميد، رأفت. (1998). قضـايا من تاريخ الحروب الصـليبية. ط1. القاهرة: عين للدراسـات والبحوث الإنسـانية والاجتماعية.

8. عبدالعاطي، عبد الغنى محمود. (1983). صليبية الأطفال "مجلة ندوة التاريخ الإسلامي والوسيط". مج1. (د.م).

9. عمران، محمود سعيد. (1987). الحملة الصليبية الخامسة، حملة جان دى بريين على مصر. ط2. القاهرة: دار المعارف.

10. فوزي، لان. (2007). النظم الرهبانية العسكرية (1120–1512م)، الأصول والتأسيس. ج1. ترجمة: قاسم عبده قاسم. ضمن كتاب تاريخ أكسفورد للحروب الصليبية. القاهرة.

11. الفيتري، يعقوب. (1998). تاريخ بيت المقدس. ترجمة وتعليق: سعيد البيشاوي. ط1. عمان: دار الشروق.

12. مقامي، نبيلة إبراهيم. (1994). فرق الرهبان الفرسان في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر. القاهرة.

13. ويندوفر، روجر أوف. (2000). ورود التاريخ. ترجمة: سهيل زكار. ضمن الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، الجزء التاسع والثلاثون. دمشق.

ثانيًا: المصادر الاجنبية

1. Abulafia, D. (1988). Frederick II: A medieval emperor. London, England: Penguin Press.
2. Almási, T. (2012). II. András. In N. Gujdár & N. Szatmáry (Eds.), Encyclopedia of the kings of Hungary: An illustrated history of the life and deeds of our monarchs, regents and the princes of Transylvania. Reader's Digest.
3. Archivio Segreto Vaticano. (n.d.). Registrum Vaticanum 9, fol. 41. Vatican City.
4. Ashby, T. (1911). Aricia. In H. Chisholm (Ed.), Encyclopædia Britannica (11th ed., Vol. 2). Cambridge University Press.
5. Author, A. A. (1974). Der Vorgänger: Das Wirken Coelestins III. aus der Sicht von Innocenz III. Zeitschrift der Savigny-Stiftung für Rechtsgeschichte: Kanonistische Abteilung, (v.60).
6. Bauer, S. (2016). Historiographical transition from Renaissance to Counter-Reformation: The case of Onofrio Panvinio (1530–1568). In P. Pombeni (Ed.), The historiography of transition: Critical phases in the development of modernity (1494–1973) (R. Nisbet, Trans.). Abingdon.
7. Bolton, B. (2000). "Serpent in the dust: Sparrow on the housetop": Attitudes to Jerusalem and the Holy Land in the circle of Pope Innocent III. In Studies in Church History (Vol. 36, pp. 154–165). Boydell Press.
8. Boyle, L. E. (1978). The Compilatio quinta and the registers of Honorius III. Bulletin of Medieval Canon Law, (v.8).
9. Burn, R. (1879). Rome and the Campagna. London.
10. Carocci, S., & Vendittelli, M. (2000). Onorio III. In M. Bray (Ed.), Enciclopedia dei papi (Vol. 2). Roma.
11. Carpenter, D. A. (1996). The reign of Henry III. London, England: Hambledon Press.
12. Chisholm, H. (Ed.). (1911). Philip II., king of France. In Encyclopædia Britannica (11th ed., Vol. 21). Cambridge University Press.
13. Claverie, P. (n.d.). Honorius III et l'Orient. (n.p).
14. Claverie, P.-V. (2005). L'ordre du Temple en Terre Sainte et à Chypre au XIIIe siècle (Vol.3).
15. Coventria, W. de. (1873). Memoriale fratris Walteri de Coventria (W. Stubbs, Ed.; Vols. 1–2). London, England: Rolls Series.
16. Davenport, F., & MacVeagh, R. (1915). Fountains of papal Rome. Charles Scribner's Sons.
17. de Vitry, J. (1998). Lettres de la Cinquième Croisade (R. B. C. Huygens, Ed.; G. Duchet-Suchaux, Trans.). Turnhout.
18. Doran, J. (2008). Pope Celestine III (1191–1198): Diplomat and Pastor. Routledge.
19. Engel, P. (2001). The realm of St Stephen: A history of medieval Hungary, 895–1526. I.B. Tauris.
20. Erdkamp, P. (Ed.). (n.d). A companion to the Roman army . Malden, MA; Oxford; Chichester: Wiley-Blackwell.
21. Fabre, P., Duchesne, L., & Mollat, G. (Eds.). (1889–1952). Le Liber Censuum de l'Église romaine (Vol. 2). Paris.
22. Fejér, G. (Ed.). (1829). Codex diplomaticus Hungariae ecclesiasticus et civilis (Vol. 3). Buda.
23. Goodson, C. (2010). The Rome of Pope Paschal I: Papal power, urban renovation, church rebuilding and relic translation, 817–824. Cambridge.
24. Gregorovius, F. (1895). Rome in the Middle Ages (Vol. 5, Pt. 1).

25. Hechelhammer, B. (2004). Kreuzzug und Herrschaft unter Friedrich II.: Handlungsspielräume von Kreuzzugspolitik (1215–1230). Ostfildern.
26. Herde, P. (1981). Die Entwicklung der Papstwahl im dreizehnten Jahrhundert. Praxis und kanonistische Grundlagen. Österreichisches Archiv für Kirchenrecht, vol.32(n.1–2).
27. Hirschfeld, T. (1914). Zur Chronologie der Stadtpräfekten in der Zeit der Erneuerung des Senates. Quellen und Forschungen aus italienischen Archiven und Bibliotheken.
28. Historiens occidentaux. . (1859). L'Estoire de Eracles empereur. In Recueil des historiens des croisades: (Vol. 2). Paris.
29. Jotischky, A. (1995). The perfection of solitude: Hermits and monks in the Crusader states. University Park, PA: Pennsylvania State University Press.
30. Kelly, J. N. D. (1986). The Oxford dictionary of Popes. Oxford University Press.
31. Kosztolnyik, Z. J. (1996). Hungary in the thirteenth century. New York: East European Monographs.
32. Kristó, G. (2000). Histoire de la Hongrie médiévale: Tome I, le temps des Árpáds. Rennes: Presses Universitaires de Rennes.
33. Maleczek, W. (1984). Papst und Kardinalskolleg von 1191 bis 1216: Die Kardinäle unter Coelestin III. und Innocenz III. Wien.
34. Manselli, R. (1963). Onorio III e Federico II: revisione d'un giudizio? Studi Romani, 11.
35. Moore, J. C. (2003). Pope Innocent III (1160/61–1216): To root up and to plant. Leiden: Brill.
36. Moore, W. C. (1978). The Penguin encyclopaedia of places . Great Britain.
37. Moroni, G. (1841). Dizionario di erudizione storico-ecclesiastica (Vol. 10). Venezia.
38. Morton, N. (2011). In subsidium: The declining contribution of Germany and Eastern Europe to the crusades to the Holy Land, 1221–91. German Historical Institute London Bulletin, (vol.33).
39. Murphy, C. P. (2006). The pope's daughter: The extraordinary life of Felice della Rovere. New York, NY: Oxford University Press.
40. Paravicini Bagliani, A. (2000). Honorius III, Pope (died 1227). In A. Vauchez, B. Dobson, & M. Lapidge (Eds.), Encyclopedia of the Middle Ages (Vol. 1). Cambridge.
41. Paravicini Bagliani, A. (2000). Honorius III, Pope (died 1227). In A. Vauchez et al. (Eds.), Encyclopedia of the Middle Ages (Vol. 1, p. 688). Routledge.
42. Perry, G. (2009). The career and significance of John of Brienne: King of Jerusalem, Emperor of Constantinople (Unpublished doctoral dissertation). University of Oxford.
43. Perugia. (2007). In Encyclopædia Britannica. Retrieved May 21, 2007, from Encyclopædia Britannica Online.
44. Pfaff, R. (1956). Aufgaben und Probleme der päpstlichen Finanzverwaltung am Ende des 12. Jahrhunderts. Mitteilungen des Instituts für Österreichische Geschichtsforschung.
45. Pfaff, R. (1974). Der Vorgänger: Das Wirken Coelestins III. aus der Sicht von Innocenz III. Zeitschrift der Savigny-Stiftung für Rechtsgeschichte, Kanonistische Abteilung, vol.91(n.60).
46. Pokorny, A. (1886). Die Wirksamkeit der Legaten des Papstes Honorius III. in Frankreich und Deutschland. Krems.
47. Powell, J. M. (1977). Pastor Bonus: Some evidence of Honorius III's use of the sermons of Pope Innocent III. Speculum, (vol.52).
48. Pybus, H. J. (1930). The emperor Frederick II and the Sicilian Church. Cambridge Historical Journal, vol.3(n.2).
49. Riley-Smith, J. (2005). The crusades: A history (2nd ed.). London, England: Yale University Press.

50. Robinson, I. S. (1990). The papacy, 1073–1198: Continuity and innovation. Cambridge University Press.
51. Róna-Tas, A. (1999). Hungarians and Europe in the early Middle Ages: An introduction to early Hungarian history (N. Bodoczky, Trans.). Budapest.
52. Sayers, J. E. (1984). Papal government and England during the pontificate of Honorius III (1216–1227). Cambridge University Press.
53. Slack, C. K. (2003). Historical dictionary of the Crusades. Lanham, MD & Oxford, UK: Scarecrow Press.
54. Sweeney, J. R. (1981). Hungary in the Crusades, 1169–1218. International Historical Review, (vol.3).
55. Thomas of Split. (2006). History of the bishops of Salona and Split (O. Perić & D. Karbić, Eds. & Trans.). Budapest: Central European University Press.
56. Tillmann, H. (1975). Ricerche sull'origine dei membri del collegio cardinalizio nel XII secolo. Rivista di storia della chiesa in Italia, (vol.29).
57. Tyerman, C. (2006). God's war: A new history of the crusades. London: Penguin Books.
58. Veszprémy, L. (2002). The crusade of Andrew II, king of Hungary, 1217–1218. Iacobus: Revista de estudios jacobeos y medievales, (13/14).
59. Williams, G. L. (2004). Papal genealogy. London.

List of sources and references:

1. Ibn Wasil, Abu Abdullah Jamal al-Din Muhammad ibn Salim (d. 697 AH/1298 CE). Mufarrij al-Kurub fi Akhbar Bani Ayyub. Vol. 3. Edited by Jamal al-Din al-Shayyal. Cairo: Dar al-Fikr al-Arabi. n.d.
2. Parker, Ernest. (n.d.). The Crusades. Translated by al-Sayyid al-Baz al-Arini. 2nd ed. Beirut: Dar al-Nahda al-Arabiyya.

3. Badawi, Ali Omar. (2019). Pelagius and His Role in the Crusades (1165-1230 CE). Syria: Dar Nour Hawran for Publishing.
4. Al-Hamawi, Shihab al-Din Abu Abdullah Yaqut ibn Abdullah (d. 626 AH/1229 CE). (1977). Mu'jam al-Buldan. Vol. 2. Lebanon-Beirut: Dar Sader. 1977.
5. Runciman, Steven. (1997). A History of the Crusades. Translated by al-Baz al-Arini. Vol. 3, Part 1. Lebanon-Beirut: Dar al-Thaqafa.
6. Smalley, Peril. (1984). Historians in the Middle Ages. Translated by Qasim Abdo Qasim. 2nd ed. Cairo: Dar al-Maaref.
7. Abdel Hamid, Raafat. (1998). Issues from the History of the Crusades. 1st ed. Cairo: Ain for Human and Social Studies and Research.
8. Abdel-Aati, Abdel Ghani Mahmoud. (1983). Children's Crusades. "Journal of the Symposium on Islamic and Medieval History." Vol. 1. (Place of publication not identified).
9. Omran, Mahmoud Saeed. (1987). The Fifth Crusade: John de Brienne's Campaign in Egypt. 2nd ed. Cairo: Dar al-Maaref.
10. Fawzi, Ian. (2007). Military Monastic Orders (1120-1512 CE): Origins and Foundations. Vol. 1. Translated by Qasim Abdo Qasim. In The Oxford History of the Crusades. Cairo.
11. Al-Faytri, Ya'qub. (1998). The History of Jerusalem. Translated and annotated by Sa'id al-Bishawi. 1st ed. Amman: Dar al-Shuruq.
12. Maqami, Nabila Ibrahim. (1994). The Knights' Order in the Levant in the Twelfth and Thirteenth Centuries. Cairo.

Vol 13, Issue 43, Feb 2026
P-ISSN: 2413-1326
E-ISSN: 2708-602X

13. Wendover, Roger Ove. (2000). The Roses of History. Translated by Suhayl Zakkar. In the Levantine Encyclopedia of the History of the Crusades, Volume 39. Damascus.Wendover, Roger Ove. (2000). Roses of History. Translated by Suhayl Zakkar. In the Levantine Encyclopedia of the History of the Crusades, Volume 39. Damascus.